سورة المائدة

(٨٠) قوله تعالى: ﴿ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ ﴾ المائدة: ١

قال أحمد بن يحيى: الأنعام كل ما أحله الله جلَّ وعز من الحيوان، ويدل على صحة هذا قوله جلَّ وعز: ﴿النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ﴾ المائدة: ١ [1].

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بـــ(بهيمة الأنعام):

الأول: الإبل والبقر والغنم والأنعام كلها التي أحلها الله تعالى.

روي عن الحسن[2]، واختاره النَّحاس[3]، وابن عطية[4]، والبغوي[5]، وأبو حيَّان[6].

الثاني: الإبل والبقر والغنم.

روي عن قتادة، و السُّدِّي، و الرَّبيع بن أنس، والضَّحاك[7]، واختاره ابن كثير[8].

الثالث: ما في بطون الإبل والبقر والغنم من أجنة.

روي عن ابن عبَّاس، وابن عمر ﷺ [9].

الرابع: الوحشي من الحيوانات كالظباء وبقر الوحش وحمرها.

قاله الفراء[10]، والكلبي[1]، والضَّحاك[2].

---

(١) إعراب القرآن، للنحاس٢/١٠١

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٨/١٢-١٣، والنكت والعيون٢/٦، وزاد المسير٣/٢٦٨

(٣) معاني القرآن٢/٢٤٩

(٤) المحرر الوجيز٢/١٤٤

(٥) معالم التنزيل٢/٧

(٦) البحر المحيط٣/٤١٢

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري٨/١٢-١٣، والنكت والعيون٢/٦، وزاد المسير٣/٢٦٨

(٨) تفسير ابن كثير٣/٨

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري٨/١٣-١٤، والنكت والعيون٢/٦، وزاد المسير٣/٢٦٨

(١٠) معاني القرآن١/٢٩٨

الخامس: الإبل والبقر والغنم وما في بطونها من أجنة.

قاله ابن جرير[٣].

السادس: الإبل والبقر والغنم والوحش.

قاله ابن قتيبة[٤]، والزَّجاج[٥].

النتيجة:

قالوا في سبب وصف الأنعام التي أحلها الله بهيمة: أنها أبهمت عن أن يهُيز، وكل حي لا يميز فهو بهيمة[٦].

والبهيمة في كلام العرب: ما أبهم من جهة نقص النطق والفهم، ومنه باب بهْم، وليل بهِيم، وسميت الحيوانات التي لا عقل لها ولا نطق بهيمة[٧].

وبناءا على ذلك فالراجح أن بهيمة الأنعام تشمل كل ما أحله تعالى من الحيوانات، فكلها يصدق عليها أنها لا تنطق ولا عقل لها.

والدليل في دخول الوحوش الاستثناء بعدها : ﴿ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ ﴾ ولا يكون إلا في الوحشي من الأنعام.

وأما الأدلة على دخول الإبل والبقر والغنم في الأنعام فكثير، ومنها قوله تعالى :﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ الآيات من الأنعام : ١٤٣-١٤٤ بعد قوله :﴿ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ ﴾ الأنعام: ١٤٢ فقد ذكر الإبل والبقر والغنم.

وهذا قول ثعلب، واختاره النَّحاس، وابن عطية، والقرطبي[٨].

---

(١) ينظر: النكت والعيون٢/٦، ومعالم التنزيل٢/٧، وزاد المسير٣/٢٦٨

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية٣/١٥٥٧، والمحرر الوجيز٢/١٤٤

(٣) جامع البيان٨/١٤

(٤) ينظر: زاد المسير٣/٢٦٨

(٥) معاني القرآن، للزجاج٢/١٤٠

(٦) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٢/١٤١

(٧) ينظر: المحرر الوجيز٢/١٤٤

(٨) ينظر للأقوال في المسألة: إعراب القرآن، للنحاس٢/١٠١، والمحرر الوجيز٢/١٤٤، والجامع لأحكام القرآن٩/٧٣

وليس معنى ذلك أن كل ما ذكرت الأنعام في القرآن يراد بها جميع الحيوانات، فقد تأتي الأنعام في القرآن ويراد بها بعض ذلك العام، مثل آية الأنعام القريبة الذكر، وكل ذلك متوقف على دلالة السياق والقرائن والأحوال في الآيات، والله تعالى أعلم.

(٨١) قوله تعالى: ﴿النُّورِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمَنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادِلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ المُلْكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ القِيَامَةِ الإِنْسَانِ المُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الانْفِطَارِ﴾ المائدة: ٢

وقال أبو العبَّاس قال الأخفش في قوله: ﴿الطُّورِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: لا يُحِقَّنَّ لكم، لأن قوله: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ النحل: ٦٢، إنّما هو حَقٌّ أَنَّ لهم النَّار. وأنشد:

جَرَمَتْ فَزارَةُ[1] بَعْدَها أَن يَغْضَبُوا[2]

يقول: حُقَّ لها[3].

قال أبو العبَّاس: أمّا قوله لا يُحقَّنَّ لكم، فإنما أَحْقَقْتُ الشَّيْءَ إِذَا لم يَكُن حَقّاً، فجعلته حَقّاً، وإِنَّما معنى الآية والله أعلم في التَّفسير: لا يَحْمِلنّكم ولا يَكْسِبَنَّكُم[4].

---

(١) فَزَارة: بطن عظيم من غطفان، من العدنانية، تنسب إلى فَزَارة بن ذَبْيَان بن بَغِيض بن رَيْث بن غَطَفَان، منازلهم بجد وسط الجزيرة العربية ثم تفرقوا في مصر والمغرب. ينظر: نهاية الأرب:٣٥٢، ومعجم قبائل العرب٩١٨/٣.

(٢) البيت لأبي أسماء بن الضريبة، وقيل لعطية بن عفيف، ينظر: المقتضب:٣٥٢/٢، وخزانة الأدب٣١٠/٤ ونصه:
ولقد طَعنتَ أبا عُيينةَ طعنةً جرَمَتْ فَزارةَ بعدها أن يغضبوا

(٣) ينظر: معاني القرآن، للأخفش٢٥٠/١

(٤) تهذيب اللغة٤٦/١١، وينظر: الجامع لأحكام القرآن٢٦٥/٧، والدر المصون ١٨٨/٤، ولسان العرب ٩٢/١٢، وروح المعاني٢٢٩/٣

الدِّراسة:

الفعل (جَرم) منه الجرم، بضم الجيم أو فتحها، وفي اللغة بمعنى: القطع، والكسب، والتعدي، والذنب[1].

أقوال المفسِّرين في معنى الآية:

١. لا يحملنكم بُغض قوم أن تعتدوا عليهم من غير حق.

يقال: جرمني كذا على بغضك، أي: حملني على بغضك.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وقتادة[2]، وقاله بعض الكوفيين[3]، وأبو عبيدة[4]، وابن جرير[5]، والزَّجاج[6]، والنَّحاس[7]، ومكِّي[8]، والقرطبي[9]، وابن كثير[10].

٢. لا يكسبنكم بُغض قوم أن تعتدوا عليهم من غير حق.

يقال: فلان جريمة أهله، أي: كاسبهم، وأجرم فلان، أي: اكتسب الإثم.

قاله الفراء[11]، والزمخشري[12]، وابن عطية[13].

٣. لا يُحقَّنَّ لكم أن تعتدوا على قوم لبغضكم إياهم، دون حق.

وهذا قول الأخفش[14]، وبعض البصريين[15].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة(ج ر م)

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٨/٤٤

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٨/٤٤

(٤) مجاز القرآن١/١٤٧

(٥) جامع البيان، للطبري٨/٤٦

(٦) معاني القرآن وإعرابه٢/١٤٣

(٧) معاني القرآن ٢/٢٥٣

(٨) الهداية إلى بلوغ النهاية٣/١٥٧٦

(٩) الجامع لأحكام القرآن٧/٢٦٥

(١٠) تفسير القرآن العظيم٣/١٢

(١١) معاني القرآن١/٢٩٩

(١٢) الكشاف١/٥٩٠

(١٣) المحرر الوجيز٢/١٤٨

(١٤) ينظر: معاني القرآن، للأخفش١/٢٥٠

(١٥) ينظر: جامع البيان، للطبري٨/٤٤

النتيجة:

هذه الأقوال في معنى الآية صحيحة ومتقاربة، ولا تعارض بينها بل هي في مجملها تعود إلى معنى واحد.

ولكن الأحسن منها والأقرب للسياق هو الأول والثاني الحمل والكسب، وهذه المعاني جاءت في اللغة على هذا اللفظ.

وأما القول الثالث فمصدره القياس على معنى آية أخرى، وهذا القياس لا يلزم، فالكلمة في القرآن لها معاني وأوجه متعددة يحمل كل موضع على ما يناسبه سياق الآية وأحوالها، فلا نفسَّر الكلمة من القرآن بمجرد النظر إلى معناها في اللغة أو معنى مثيلاتها في القرآن، بل لا بد من مراعاة سياق الآية وقرائن الحال، والله تعالى أعلم.

(٨٢، ٨٣) قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ

﴿ المائدة: ٦

في هذه الآية مسألتان:

المسألة الأولى:

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل :﴿ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾.

قال: هي مثل (حتى) للغاية، والغاية تدخل وتخرج. يقال: ضربت القوم حتى زيداً، يكون زيدًا مضروباً وغير مضروب فيؤخذ هاهنا بالأوثق(١).

قال الأزهري : وأما قول الله تعالى : ﴿ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾، فإن أبا العبَّاس وغيره من النحويين جعلوا (إلى) بمعنى (مع) هاهنا، وأَوْجَبُوا غَسل المَرافق والكعبَيْن(٢).

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٢٦

(٢) تهذيب اللغة١/٣٠٧

الدِّراسة:

اختلف العلماء في هل الآية فيها دلالة على وجوب غسل المرافق والكعبين، أم لا؟ مع أن الجمهور على وجوب غَسلهما، سواء دل على ذلك الكتاب أو السنَّة[1].

واختلافهم هذا مبنيٌ على معنى (إلى) في الآية، هل هي بمعنى انتهاء الغاية، أو بمعنى (مع)[2]؟

الوجه الأول: أنها لانتهاء الغاية.

وفي هذا الوجه أقوال:

١. أن ما بعد (إلى) لا يدخل فيما قبلها إلا بقرينة على الدخول، فإن لم تأت قرينة فيبقى الحكم على الأصل وهو عدم الدخول.

والآية ليس فيها الدلالة على وجوب غسل المرافق لأنه لم تأت قرينة على دخول المرافق في الحكم.

وأصحاب هذا القول فرقوا بين (إلى) و(حتى)، فقالوا: (إلى) لا تدخل، وأما (حتى) فتدخل. قاله ابن جرير[3]، والزَّجاج[4]، ومكِّي[5]، وأبو حيَّان[6].

٢. أن ما بعد (إلى) لا يدخل ولا يخرج عن ما قبلها إلا بدليل، فإن لم يأت دليل فيتوقف. وهذه الآية ليس فيها دليل على الخروج ولا على الدخول، فيتوقف.

قاله الزمخشري[7].

٣. إن كان ما بعد (إلى) من جنس ما قبلها، فيدخل فيها، وإلا فلا، وعلى هذا القول فالآية فيها دلالة على وجوب غسل المرافق، لأن المرفق من جنس اليد.

قاله المبرِّد[8]، وابن عطية[9]، والقرطبي[1].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن٧/٣٣٣

(٢) ينظر: الاستذكار١/١٢٨

(٣) جامع البيان، للطبري٨/١٨٤

(٤) معاني القرآن وإعرابه٢/١٥٣

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية٣/١٦٢٣

(٦) البحر المحيط٣/٤٣٥

(٧) الكشاف١/٥٩٨

(٨) ينظر: معاني القرآن الكريم، للنحاس٢/٢٧١، والهداية إلى بلوغ النهاية٣/١٦٢٣

(٩) المحرر الوجيز٢/١٦٢

وأصحاب هذا القول جعلوا (إلى) مثل (حتى) للغاية، تدخل وتخرج.

الوجه الثاني: أنها بمعنى (مع).

قاله ابن كثير[٢].

واستدل بقوله تعالى:﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾النساء: ٢، أي: مع أموالكم.

وضعف هذا القول الزَّجاج والنَّحاس، لأن المعنى الإجمالي للآية لا يساعده[٣].

قال النَّحاس: وهذا القول خطأٌ لأن اليد عند العرب من الأصابع إلى الكتف، وإ نما فُرِضَ غَسلُ بعضها، فلو كانت (إلى) بمعنى (مع) لوجب غسل اليد كلها و لم يحتج إلى ذكر المرافق[٤].

وأما الأقوال المنقولة عن ثعلب-رحمه الله- في معنى (إلى) فيظهر فيها اختلافاً بين أن تكون بمعنى (حتى) للغاية أو بمعنى (مع).

لكن الصحيح هو ما جاء عنه في المجالس وأنها بمعنى (حتى)، وأما قول الأزهري فيحمل أنه أراد بيان قول ثعلب على معنى الغاية التي تُحل ما بعد (إلى) بما قبلها، فذكر قوله السابق.

النتيجة:

ما ذكره أصحاب القول الثالث من قاعدة في دخول ما بعد (إلى) في ما قبلها حسن، والأمثلة على هذه القاعدة تؤيد صحتها وقوتها وموافقتها، للمعنى، فقوله تعالى :﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾البقرة: ١٨٧، فالليل لا يدخل في ما قبله، أي لا يكون فيه صيام، لأنه ليس من جنسه، بخلاف المرفق فهو من جنس اليد فيدخل فيها.

ثم إن القول الأول اشترط لدخول ما بعد (إلى) في ما قبلها القرينة، والقول الثاني اشترط الدليل، أفلا يكون تحقق هذه القاعدة التي وضعها أصحاب القول الثالث هي القرينة والدليل على الدخول؟

المسألة الثانية:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن٧/٣٣٣

(٢) تفسير القرآن العظيم٣/٤٩

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه٢/١٥٣، ومعاني القرآن الكريم، للنحاس٢/٢٧١، والجامع لأحكام القرآن٧/٣٣٣

(٤) معاني القرآن الكريم، للنحاس٢/٢٧١

قوله تعالى : ﴿الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ﴾ فسَّره ثعلب فقال: نزل القرآن بالمسح، والسنة بالغسل[1].

الدِّراسة:

قرأ ابن كثير وحمزة وأبو عمرو وعاصم من رواية شعبة[2](وأرجلِكم) بخفض اللام، والعامل فيها الباء على معنى: وامسحوا أرجلكم.

وقرأ نافع وابن عامر والكسائي وعاصم من رواية حفص[3] (وأرجلَكم) بنصب اللام، والعامل فعل الغسل على معنى: واغسلوا أرجلكم[4].

وهذا معنى قول ثعلب-رحمه الله- نزل القرآن بالمسح، أي على قراءة الخفض، ونزلت السنة بالغسل كما كان يتوضأ النَّبي ﷺ[5].

وأما على قراءة النصب فالقرآن والسنة نزلا معاً بالغسل.

وعلى كلا القراءتين فالجمهور على وجوب غسل الرجلين في الوضوء، وأجابوا على قراءة الخفض بالعديد من الأجوبة، ومنها الآتي:

١. أن لفظ المسح مشترك، يطلق على المسح ويطلق على الغسل، والسنَّة خصصت ذلك بالغسل.

٢. المسح للرجلين في الآية يراد به المسح على الخف أو الجوارب.

٣. إن المسح للرأس إنما دخل بين ما يُغسل لبيان الترتيب على أنه مفعول قبل الرجلين ، التقدير: فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وأرجلكم إلى الكعبين، وامسحوا

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٣/٢١٨، ولسان العرب٢/٥٩٣

(٢) شعبة بن عياش بن سالم، أبو بكر الحناط الأسدي النهشلي الكوفي، راوي عاصم بن أبي النجود الكوفي، توفي سنة ١٩٣هـ، وينظر: طبقات القراء، لابن الجزري١/٣٢٥، وسير أعلام النبلاء٨/٤٩٥

(٣) حفص بن سليمان بن المغيرة أبو عمر بن أبي داوود الأسدي الكوفي الغاضري البزار، رواي عاصم بن أبي النجود الكوفي أحد القراءة السَّبعة، و توفي سنة ١٨٠هـ، وينظر: طبقات القراء، لابن الجزري ١/٢٥٤، وشذرات الذهب٢/٣٥٧

(٤) ينظر: السَّبعة:١٨٥، وجامع البيان في القراءات السبع٣/١٠٢٣، الكشف عن وجوه القراءات السبع١/٤٠٦

(٥) ينظر: صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الوضوء ثلاثا ثلاثا، وصحيح مسلم، كتاب الطهارة ، وجامع البيان، للطبري٨/٢٠١-٢٠٨، والتمهيد، لابن عبد البر٢٤/٢٥٥-٢٥٧، والاستذكار٢/٥١

برءوسكم فلما كان الرأس مفعولاً قبل الرجلين قدم عليهما في التلاوة ، لا أنهما مشتركان مع الرأس لتقدمه عليهما في صفة التطهير.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي[1] قال: قرأ الحسن والحسين[2] -رحمة الله عليهما- علي (وأرجلِكم)، فسمع عليٌ ذلك وكان يقضي بين النَّاس، فقال: (وأرجلَكم) هذا من المقدم والمؤخر من الكلام.

وعن علي رضي الله عنه قال: اغسلوا الأقدام إلى الكعبين، وكذا روى عن ابن مسعود وابن عبَّاس رضي الله عنهم أنهما قرآ (وأرجلَكم) بالنصب[3].

٤. إن قوله(وأرجلِكم) معطوفة على (رؤوسكم) لفظاً لا معنى، والخفض فيها مرآعاة للجوار كما تفعله العرب، وكما جاء في القرآن قوله تعالى :﴿ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ البروج: ٢٢، فـ(محفوظ) صفة للقرآن كانت مخفوضة لمجاورة المخفوض، والأصل الرفع، والتقدير: بل هو قرآن مجيد محفوظ.

٥. أن العرب قد تعطف الشيء على الشيء بفع ل ينفرد به أحدهما، مثل قولك : أكلت الخبز واللبن، وهذا الفعل عامل في إحدى المعمولين، وعامل المعمول الثاني محذوف، تقدير: وشربت اللبن.

ومثله هذه الآية فالعامل فيه -وهو المسح- خاص بالرأس دون الرجل[4].

فهذه الأجوبة فيها التوجيه لقراءة الخفض التي يوهم ظاهرها عدم وجوب غسل الرجلين، والله تعالى أعلم.

---

(١) عبد الله بن حبيب بن ربيعة أبو عبد الرحمن السلمي الضرير مقرئ الكوفة تابعي، قرأ على عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب رضي الله عنهم، توفي سنة ٧٤هـ، وينظر: طبقات القراء، لابن الجزري١/٤١٣، وسير أعلام النبلاء٤/٢٦٧

(٢) الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، سبط رسول الله ﷺ ، قتل سنة٦١هـ ، وينظر: تاريخ بغداد١ /١٤١، وسير أعلام النبلاء٣/٢٨٠

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٨/١٩١-١٩٢

(٤) ينظر: المحرر الوجيز ٢/١٦٣، والجامع لأحكام القرآن ٧/٣٤٤-٣٥٠، والبحر المحيط ٣/٤٣٧، والدر المصون٤/٢٠٩-٢١٦

(٨٤، ٨٥) قوله تعالى :﴿ الصَّافَّاتِ ص الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ ق الذَّارِيَاتِ ﴾ المائدة: ٢٩

فإن قيل: كيف أراد هابيل وهو من المؤمنين أن يبوء قابيل بالإثم وهو معصية والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه؟ فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: أنه ما أراد لأخيه الخطيئة، وإنما أراد إن قتلتني أردت أن تبوء بالإثم، وإلى هذا المعنى ذهب الزَّجاج[1].

والثاني: أن في الكلام محذوفاً تقديره: إني أريد أن لا تبوء بإثمي وإثمك، فحذف (لا) كقوله:﴿ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ لقمان: ١٠، أي: أن لا تميد بكم، ومنه قول امرئ القيس[2]:

فقلت يمين الله أبرح قاعداً ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي[3]

أراد: لا أبرح، وهذا مذهب ثعلب.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه٢/١٦٧

(٢) حندج وقيل مليكة وقيل عدي بن حجر بن الحارث الكندي، أشهر شعراء العرب قبل الإسلام، وأحد شعراء المعلقات السبع، توفي سنة ٨٠ق هـ، ويظر: الشعر والشعراء:٣١، والأعلام٢/١١.

(٣) ينظر: خزانة الأدب٨/٥٥٠، والصناعتين الشعر والكتابة١/١٨٤، والمثل السائر٢/١٠٤

والثالث: أن المعنى: أريد زوال أن تبوء بإثمي وإثمك، وبطلان أن تبوء بإثمي وإثمك . فحذف ذلك، وقامت (أن) مقامه كقوله: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ البقرة : ٩٣، أي: حب العجل. ذكره والذي قبله ابن الأنباري[١][٢].

وقَوْلُهُ تعالى: ﴿الصَّافَّاتِ ضَرْبًا الزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾

قال ثَعْلَبٌ: مَعْناهُ إِنْ عَزَمْتَ على قَتْلِي كَانَ الإِثْمُ بكَ لا بِي[٣].

الدِّراسة:

للإجابة على مشكل الآية، ذكر العلماء هذه الأجوبة وغيرها[٤]، وأذكر منها الآتي:

١. أنه على حذف همزة الاستفهام، والاستفهام إنكاري، وتقديره : أإني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك.

ويؤيد هذا قراءة (أَنَّى أريد) وهي (أَنَّى) التي بمعنى (كيف)[٥].

وقال الشَّوكاني: وهذا بعيد جداً[٦].

٢. أنه على حذف مضاف، والتقدير :إني أريد زوال أو بطلان أو انتفاء أن تبوء بإثمي وإثمك.

قال أبو بكر الأنباري: وفي هذا القول عندي بُعد، لأن المحذوف ليس بمشهور، ولا بيِّن الموضع[٧].

٣. أن (لا) محذوفة، وتقدير الكلام: إني أريد ألا تبوء بإثمي وإثمك.

---

(١) ينظر: الأضداد، للأنباري:٣١٢-٣١٤ ذكر الأقوال الثلاثة، واختار الأول.

(٢) زاد المسير٢/٣٣٦

(٣) المحكم والمحيط الأعظم١٠/٥٦١

(٤) ينظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن:١٠١، وكشف المشكلات وإيضاح المعضلات١/٣٤٦، والجامع لأحكام القرآن٧/٤١٤، والدر المصون٤/٢٤١

(٥) ينظر: البحر المحيط٣/٤٦٣

(٦) فتح القدير٢/٣١

(٧) ينظر: الأضداد: ٣١٤

وهذا القول خطأٌ عند الفراء، لأن (لا) لا تضمر مع الإرادة، كما لا تض مر مع العلم والظن[١].

وقد عزا ابن الجوزي مذهب هذا القول إلى ثعلب مع أن الفراء وابن الأنباري قد ردا هذا القول وهو على مذهبهم في الغالب وقد نقل عن ابن سيده في المحكم قولا مخالف لهذا القول، فالذي يظهر أن الصحيح عن ثعلب هو القول الرابع وهو ما نقله عنه ابن سيده.

٤. أن هابيل ما أحب أن أخاه يقتله، ولا هو يقتل أخاه، لكنه يقول لأخيه إن أردت قتلي وعزمت على ذلك وأبيت إلا هذا، كان الإثم بك أحب من أن يكون بي وأقوم أنا بقتلك.

فليست هذه بإرادة محبة وشهوة، وإنما هو تخيير بين شرين لا بد من أحدهما.

وهذا قول ابن جرير[٢]، والزَّجاج[٣]، وأبو بكر الأنباري[٤]، وابن عطية[٥]، والقرطبي[٦].

٥. أن المؤمن يريد الثواب ولا ينبسط إليه، فصار في كف يده عمن قتله بمنزلة من يريده. قاله المبرِّد[٧]، ومكِّي[٨] .

٦. إنما وقعت الإرادة بعدما بسط يده للقتل.

قاله ابن كيسان[٩] .

وقال الشَّوكاني: وهذا بعيد جداً[١٠].

النتيجة:

---

(١) ينظر: الأضداد: ٣١٢

(٢) جامع البيان، للطبري٨/٣٣٣

(٣) معاني القرآن وإعرابه٢/١٦٧

(٤) الأضداد: ٣١٤

(٥) المحرر الوجيز٢/١٧٩

(٦) الجامع لأحكام القرآن٧/٤١٤

(٧) الكامل٣/٢٣٢

(٨) الهداية إلى بلوغ النهاية٣/١٦٨٠

(٩) ينظر: معاني القرآن الكريم،للنحاس٢/٢٩٥

(١٠) فتح القدير٢/٣١

إذا كان للكلام على أصله محمل صحيح يستقيم معه الكلام ويزول معه الإشكال، دون حاجة إلى الحذف والتقدير، أو أرادة المجاز في اللفظ، فالأولى اختيار القول الذي يكون على هذا الوجه.

ومن خلال النظر في معظم الأقوال المتقدمة، فإنها لا تخلوا من تقد ير أو مجاز مع الاعتراض على كثير منها.

فيترجح القول الرابع، وهو مذهب إليه أكثر العلماء، والله تعالى أعلم.

(٨٦) قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ المائدة: ٤٢

وأملى علينا: جاءت اليهود إلى النَّبي ﷺ يحتكمون إليه فقالوا: في كتابنا أن لا تقتل الرؤساء بغيرهم فقال ﷺ: (باطل، ليس هذا في كتاب الله) فقالوا: إن حكمت بهذا وإلا لم نقبل. فأنزل الله عز وجل: ﴿ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴾ [1].

الدِّراسة:

تعددت الروايات عن السَّلف في سبب نزول هذه الآية، هل هو في حكم القتل أو في حكم الزنا؟ مع الاتفاق على أنها نزلت في اليهود.

القول الأول: أنها في حكم الزنا، وجاء الخبر في ذلك عن البراء بن عازب[2]، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبدالله رضي الله عنهم[1].

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٢١

(٢) البراء بن عازب بن الحارث بن عدي الأنصاري الأوسي ، صحابي جليل، توفي سنة ٧٢هـ ، وينظر أسد

عن الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ قال مُرَّ على النَّبي ﷺ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا[٢] مَجْلُودًا فَدَعَاهُمْ ﷺ فقال : (**هَكَذَا تَجدُونَ حَدَّ الزَّانِي في كِتَابِكُمْ**). قالوا: نعم. فَدَعَا رَجُلًا من عُلَمَائِهِمْ فقال : (**أَنْشُدُكَ بِاللَّهِ الذي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ على مُوسَى أَهَكَذَا تَجدُونَ حَدَّ الزَّانِي في كِتَابِكُمْ**) قال: لَا وَلَوْلَا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بِهذا لم أُخْبِرْكَ، نَجِدُهُ الرَّجْمَ، وَلَكِنَّهُ كَثُرَ في أَشْرَافِنَا فَكُنَّا إذا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ، وإذا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عليه الْحَدَّ، قُلْنَا تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ على شَيْءٍ نُقِيمُهُ على الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ، فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ، فقال رسول اللَّهِ ﷺ: (**اللهم إني أَوَّلُ من أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ**) فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ، فَأَنْزَلَ الله عز وجل : ﴿الْأَعْرَافِ الْأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ﴾ المائدة : ٤١ إلى قَوْلِهِ :﴿الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ﴾ المائدة: ٤١، يقول: ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ، وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا، فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى : ﴿النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ﴾ المائدة : ٤٤، ﴿الْمُجَادَلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ﴾ المائدة : ٤٥ ، ﴿ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ المائدة: ٤٧، في الْكُفَّارِ كُلُّهَا[٣].

وعن عبد اللَّهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ الْيَهُودَ جاؤوا إلى رسول اللَّهِ ﷺ فَذَكَرُوا له أَنَّ رَجُلًا منهم وَامْرَأَةً زَنَيَا فقال لهم رسول اللَّهِ ﷺ: (**ما تَجدُونَ في التَّوْرَاةِ في شَأْنِ الرَّجْمِ**)، فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ، فقال عبد اللَّهِ بن سَلَامٍ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فيها الرَّجْمَ، فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ على آيَةِ الرَّجْمِ فَقَرَأَ ما قَبْلَهَا وما بَعْدَهَا، فقال له عبد اللَّهِ بن

الغابة١/٣٦٢، والإصابة١/٤١١

(١) جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، توفي سنة ٧٤هـ، وينظر: أسد الغابة١/٤٩٢، والإصابة١/٥٤٦.

(٢) مُحَمَّماً: أي مُسوَدّ الوَجه، من الحَمَمَة: الفحْمَة، وجَمْعُا حُمَم. ينظر: مشارق الأنوار ١/٣١٥، والنهاية في غريب الحديث١/٤٤٤

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحدود، رقم(١٧٠٠)

سَلَامٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ،فإذا فيها آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَالُوا: صَدَقَ يا محمد فيها آيَةُ الرَّجْمِ فَأَمَرَ بِهِمَا رسول اللَّهِ ﷺ فَرُجِمَا، قال عبد اللَّهِ: فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنَ أُ[1] على الْمَرْأَةِ يَقِيهَا الْحِجَارَةَ[2].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: زنى رجل من أهل فدك[3]، فكتب أهل فدك إلى ناس من اليهود بالمدينة أن سلوا محمداً عن ذلك، فإن أمركم بالجلد فخذوه، وإن أمركم بالرجم فلا تأخذوه عنه، فسألوه عن ذلك فقال: (**أرسلوا إلي أعلم رجلين فيكم**) فجاؤوه برجل أعور يقال له ابن صُوْرِيا[4] وآخر، فقال النَّبي ﷺ: (**أنتما أعلم من قبلكما**) فقالا: قد نجدَ قومنا بذلك. فقال النَّبي ﷺ لهما: (**أليس عندكم التوراة فيها حكم الله**) فقالا: بلى . فقال النَّبي ﷺ:(**فنشدتكما بالذي فلق البحر لبني إسرائيل، وأنزل التوراة على موسى ، وأنزل المن والسلوى، وظلل عليكم الغمام، وأنجاكم من آل فرعون، ما تجدون في التوراة من شأن الرجم**) فقال أحدهما للآخر: ما نُشدت بمثله قط. ثم قالا: نجد أن النظر زنية ، والاعتناق زنية، والقبلة زنية، فإذا شهد أربعة أنهم رأوه يُدِي ويُعِيد كما يدخل الميل في المكحلة فقد وجب الرجم. فقال النَّبي ﷺ: (**هو ذاك**) فأمر به فرجم ونزلت : ﴿الرَّجِيمِ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴾ الْآيَةُ[5].

---

(١) يجنأ: من أجنأ يُجْنِئُ إجناءً، يعني: يُكِبُ ويميل عليها ليَقِيَها الحجارة، ينظر: مشارق الأنوار١/٢٤٣، والنهاية في غريب الحديث١/٣٠٢

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب بابَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى**:﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم﴾، ومسلم في صحيحه، كتاب الحدود، رقم(١٦٩٩)

(٣) أهل فَدك: هم اليهود في بلدة يقال لها فدك بها وادٍ ونخيل تعرف ألآ ن باسم(الحائط) تقع في شمال المملكة العربية السعودية، وقد فتحها النَّبي ﷺ سنة ٧هـ صلحاً، ينظر: معجم البلدان٤/٢٣٨، والمعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية القسم الثالث:١٠٢٣.

(٤) عبد الله بن صُوْرِيا الفطيوني الأعور، من أحبار يهود فدَك، ينظر: السيرة النبوية٣/٤٧، وغوامض الأسماء المبهمة الواقعة في الأحاديث المسندة١١/٧٢٨.

(٥) أخرجه الحميدي في مسنده٢/٥٤١، وأبو داود في سننه، كتاب الحدود، باب رجم اليهوديين، رقم(٤٤٥٢)، وابن ماجه في سننه، كتاب الأحكام، باب بما يستحلف أهل الكتاب، رقم(٢٣٢٨) ، وأبو يعلى في مسنده ٤/١٠٣ عن مجالد عن الشعبي عن جابر به، وسنده ضعيف، فمجالداً ليس بالقوي، لكن صححه ابن عدي ينظر

القول الثاني: أنها في حكم القتل، وجاء الخبر في ذلك عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما.
عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: كان قُرَيْظَةُ[1] وَالنَّضِيرُ[2] وكان النَّضِيرُ أَشْرَفَ من قُرَيْظَةَ فَكَانَ إذا قَتَلَ رَجُلٌ من قُرَيْظَةَ رَجُلًا من النَّضِيرِ قُتِلَ بِهِ وإذا قَتَلَ رَجُلٌ من النَّضِيرِ رَجُلًا من قُرَيْظَةَ فُودِيَ بِمِائَةِ وَسْقٍ[3] من تَمْرٍ، فلما بُعِثَ النَّبي ﷺ قَتَلَ رَجُلٌ من النَّضِيرِ رَجُلًا من قُرَيْظَةَ، فَقَالُوا: ادْفَعُوهُ إِلَيْنَا نَقْتُلُهُ،فَقَالُوا: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ النَّبي ﷺ، فَأَتَوْهُ فَنَزَلَتْ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ الْآيَةُ[4].

وعَنِ ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: إِنَّ اللَّهَ عز وجل أَنْزَلَ: ﴿ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ ﴾ المائدة : ٤٤ الظَّالِمُونَ، الْفَاسِقُونَ. قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: أَنْزَلَهَا في طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْيَهُودِ، وَكَانَتْ إِحْدَاهُمَا قد قَهَرَتِ الأُخْرَى في الْجَاهِلِيَّةِ حتى ارْتَضَوْا وَاصْطَلَحُوا على أَنَّ كُلَّ قَتِيلٍ قَتَلَتْهُ الْعَزِيزَةُ مِنَ الذَّلِيلَةِ فَدِيَتُهُ خَمْسُونَ وَسْقًا، وَكُلَّ قَتِيلٍ قَتَلَتْهُ الذَّلِيلَةُ مِنَ الْعَزِيزَةِ فَدِيَتُهُ مئة وَسْقٍ، فَكَانُوا على ذلك حتى قَدِمَ رسول اللَّهِ ﷺ، فَذَلَّتِ الطَّائِفَتَانِ لِحُكْمِ رسول اللَّهِ ﷺ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ لم يَظْهَرْ عليهم و لم يُوطِئْهُمَا وهو الصُّلْحُ، فَقَتَلَتِ الذَّلِيلَةُ مِنَ الْعَزِيزَةِ قَتِيلا فَأَرْسَلَتِ الْعَزِيزَةُ إلى الذَّلِيلَةِ أَنِ ابْعَثُوا إِلَيْنَا مِائَةَ وَسْقٍ. فَقَالَتِ الذَّلِيلَةُ: وَهَلْ كان هذا قَطُّ ، دِينُهُمَا وَاحِدٌ وَنَسَبُهُمَا وَاحِدٌ دِيَةُ بَعْضِهِمْ نِصْفُ دِيَةِ بَعْضٍ ، إنما أَعْطَيْنَاكُمْ هذا ضَيْمًا مِنْكُمْ لنا وَفَرَقًا

مجمع الزوائد ٢٥٦،٢٧١/٦، و٢٧٢، وشرح مشكل الاثار ١١/ ١٦٨، ويشهد له حديث البراء وحديث ابن عمر رضي الله عنهم المتقدمان.

(١) قُرَيظة: قبيلة من قبائل اليهود نزلت المدينة وسيدهم كعب بن أسيد، وكانوا حلفاء الأوس، وينسبون إلى قريظة من أولاد هارون عليه السلام، وينظر: الأنساب٤/٤٧٥، والبداية والنهاية٢/١٦٠.

(٢) النَّضير: قبيلة من قبائل اليهود نزلت المدينة وسيدهم حيي بن أخطب، وكانوا حلفاء الخزرج، و ينسبون إلى النَّضير من أولاد هارون عليه السلام، وينظر: الأنساب٤/٤٧٥، والبداية والنهاية٢/١٦٠.

(٣) الوَسق: بفتح الواو سبعون صاعاً، ينظر: مشارق الأنوار٢/٥٠٦، والنهاية في غريب الحديث٥/١٨٥.

(٤) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب الديات ، باب النفس بالنفس، رقم (٤٤٩٤)، والنسائي في الكبرى، كتاب القسامة والقود والديات ، باب القود، رقم (٤٧٣٦)، والطبري في جامع البيان ٨/٤٣٨، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم ٤/١١٣٦، من طريق سماك بن حرب وداود بن حصين عن عكرمة عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ورواية سماك ودواد عن عكرمة ضعيفه، ينظر تقريب التهذيب ص:٣٠٥،٤١٥

مِنْكُمْ، فلما إِذْ قَدِمَ مُحَمَّدٌ ﷺ فَلا نُعْطِيكُمْ ذلك. فَكَادَتِ الْحَرْبُ تَهِيجُ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ ارْتَضَوْا على أَنْ جَعَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَهُمْ، فَفَكَّرَتِ الْعَزِيزَةُ فقالت: وَاللَّهِ ما مُحَمَّدٌ بِمُعْطِيكُمْ منهم ضِعْفَ ما يُعْطِيهِمْ مِنْكُمْ، وَلَقَدْ صَدَقُوا ما أَعْطَوْنَا هذا إِلا ضَيْمًا وَقَهْرًا لهم، فَدُسُّوا إلى مُحَمَّدٍ ﷺ من يَخْبُرُ لَكُمْ رَأْيَهُ فَإِنْ أَعْطَاكُمْ ما تُرِيدُونَ حَكَّمْتُمُوهُ ، وَإِنْ لم يُعْطِكُمُوهُ حَذِرْتُمُوهُ فلم تُحَكِّمُوهُ. فَدَسُّوا إلى رسول اللَّهِ ﷺ نَاسًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ يختبروا لهم رَأْيَ رسول اللَّهِ ﷺ. فلما جاؤوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَخْبَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِأَمْرِهِمْ كُلِّهِ وَمَاذَا أَرَادُوا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل :﴿ الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف ﴾ المائدة: ٤١ إلى قَوْلِهِ: ﴿ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾ ﴿ ﴾ المائدة: ٤٧ ثُمَّ قال فِيهِمْ: **(وَاللَّهِ أُنْزِلَتْ وَإِيَّاهُمْ عَنَى اللَّه)**[1].

النتيجة:

الراجح هو القول الأول وأنها نزلت في سؤال اليهود النَّبي ﷺ عن حكم الزاني والزانية، وذلك لصحة الآثار في هذا السبب، وضعفها في القول الثاني وإن كانت الأسباب التي ذكرت في معنى الآيات، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٨٨/٤، والطبراني في المعجم الكبير ٣٠٢/١٠، وأبو داود في سننه، كتاب القضاء، باب القاضي يخطئ، رقم(٣٥٧٦)،وضعفه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٦/٧

(٨٧) قوله تعالى :﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَة آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَة الأَنْعَام الأَعْرَاف الأَنْفَال التَّوْبَة يُونُس هُود يُوسُف الرَّعْد إِبْرَاهِيم الحِجْر النَّحْل الإِسْرَاء الكَهْف مَرْيَم طٰهٰ الأَنْبِيَاء الحَجّ المُؤْمِنُون النُّور الفُرْقَان الشُّعَرَاء النَّمْل القَصَص العَنْكَبُوت الرُّوم لُقْمَان السَّجْدَة الأَحْزَاب ﴾ المائدة: ٤٤

قال أبو العبَّاس في قوله عز وجل : ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَة ﴾ المائدة: ٤٤: كل نبي بعث بالإسلام(١).

الدِّراسة:

قول ثعلب -رحمه الله- دافعه هو الجواب على سؤال محتمل، وهو كيف يوصف الأنبياء من اليهود الذين أنزلت عليهم التوراة للحكم بين النَّاس بالإسلام، والإسلام ليس دينهم؟ فقال ثعلب -رحمه الله- للإجابة على هذا السؤال: كل نبي بعث بالإسلام، يريد أصل الدين فأصول الأديان التي بعثت بها الأنبياء واحدة، وإنما حدث التحريف والتغيير من النَّاس.

هذا إذا سلمنا أن المراد بالإسلام في الآية الدين، لكن الحقيقة والصواب أن المراد هو التسليم لأمر الله تعالى وحكمه، ففي هذا تناسب مع مقصود الآيات، وتعريض باليهود الذين

(١) مجالس ثعلب ٢٢١/١، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٥١٤/٨، ولسان العرب ٢٩٥/١٢، وفيها زيادة: غير أن الشرائع تختلف.

يعارضون ويتهربون من حكم الله تعالى في القصاص والرجم، كما جاء في سبب نزول الآيات[1].

وهذا المعنى في الإسلام شهدت به آيات، منها على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ البقرة: ١٢٨ ﴿ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ البقرة: ١٣١

وأما القول بأن المراد بالإسلام في الآية الدين، فهذا قد لا يكون الأولى لأنه لا خلاف في كون كل نبي بعث بالإسلام، إنما المراد بيان مدى امتثال الأنبياء لحكم ربهم والتعريض باليهود المغضوب عليهم[2].

قال ابن جرير: ﴿ ﴾ ﴿ شُهَدَآءَ ﴾ وهم النَّبيون الذين أذعنوا لحكم الله وأقروا به[3].

والقاعدة في ذلك: تحمل الآية على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر صفحة:٢٩٦-٢٩٩ من هذه الرسالة.

(٢) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية٣/١٧٢٦، والوسيط، للواحدي٢/١٩٠، ومعالم التنزيل ٣/٦٠

(٣) جامع البيان، للطبري٨/٤٤٩

(٨٨) قوله تعالى :﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ ﴾ المائدة: ٦٧

قال أبو العبَّاس: العصمة معناها في كلام العرب : المنع، يقال قد عصمت فلانا من فلان، إذا منعته منه. قال الله عز وجل:﴿الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّوْرِ ﴾هود : ٤٣ معناه: لا مانع. وقال: ﴿ ﴾﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ ﴾ فمعناه: يمنعك[1].

الدِّراسة:

بيَّن الإمام ثعلب –رحمه الله– معنى العصمة في اللغة واستشهد لهذا المعنى بالآيات القرآنية التي تدل على هذا المعنى كما جاء في سورة هود والمائدة.

وهذا الذي أوضحه ثعلب –رحمه الله– هو ما ذكره علماء اللغة والتفسير رحمهم الله.

قال الأزهري: والعِصْمة في كلام العرب: المَنْع. وعِصْمة الله عبدَه: أن يعصمه ممَّا يُوبِقه ، واعتصم فلان بالله إذا امتنع به، واستعصم إذا امتنع وأبى[2] .

وقال ابن فارس: (عصم) العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة، والمعنى في ذلك كله معنى واحد[3].

---

(١) الزاهر في معاني كلمات النَّاس: ٣٥٦

(٢) تهذيب اللغة، مادة(ع ص م)

(٣) معجم مقاييس اللغة، مادة (ع ص م)، وينظر: العين، للخليل، ولسان العرب، مادة(ع ص م)

قال المفسِّرون: قوله تعالى: ﴿ ﴿ ﴿ شُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ ﴾ أي: يمنعك من أن ينالوك بسوء. مشتق من عصام القربة، وهو ما تشد به من خيط أو سير[1].

وقد روي أن النَّبي ﷺ كان يحُرس في الليل، فلما نزل قوله: ﴿ ﴿ ﴿ شُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ ﴾ أخرج النَّبي ﷺ رأسه من القبة وقال:(**يا أيها النَّاس انصرفوا، فقد عصمني الله عز وجل)** [2].

(٨٩) قال تعالى: ﴿ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴿ ﴾ المائدة: ٩٧

قوله تعالى: ﴿ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ قال ثعلب أبو العبَّاس أحمد بن يحيى : إنما سميت كعبة لتربيعها[3].

الدِّراسة:

اشتق الإمام ثعلب- رحمه الله- تسمية الكعبة من شكلها المربع، وهذا مثل كعب القدم وكعب الحذاء فشكله مربع.

قال الراغب: كعب الرجل: العظم الذي عند ملتقى القدم والساق، قال : ﴿ العظيم بِسْمِ ﴾ المائدة : ٦. والكعبة كل بيت على هيئته في التربيع وبها سميت الكعبة، قال تعالى: ﴿ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ﴾ وذو الكعبات بيت كان في الجاهلية لبني ربيعة[4]، وفلان جالس في كعبته أي : غرفته وبيته على تلك الهيئة ، وامرأة كاعب تكعب ثدياها[5].

---

(١) ينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة ١٧١/١، جامع البيان، للطبري٥٧١/٨، معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ١٩٢/٢، ومعاني القرآن الكريم، للنحاس٣٣٩/٢

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب من سورة المائدة، رقم (٣٠٤٦) ، والحاكم في مستدركه ٣٤٤/٢، والبيهقي في سننه ٨/٩، وصححه الحاكم وقال الترمذي: حديث غريب.

(٣) تفسير القرآن، للسَّمعاني ٦٨/٢

(٤) ربيعة: قبيلة عظيمة من قبائل العرب تنسب إلى ربيعة بن نزار، وإليها ينسب بكر بن وائل، ينظر: الأنساب٤٣/٣

(٥) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(ك ع ب)، روي عن مجاهد وعكرمة هذا المعنى، ينظر: جامع البيان، للطبري٥/٩، والهداية إلى بلوغ النهاية١٨٨٢/٣، والدر المصون٤ /٤٣٢

فالكعبة في اللغة: كل بيت مربع، فسميت الكعبة بذلك لتكعيبها ونتوئها فهي مربعة ومرتفعه مثل الكعب، والله تعالى أعلم [1].

(٩٠) قوله تعالى : ﴿ الإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الأَنبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ ﴾ المائدة: ١٠٠

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل : ﴿ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ ﴾ يعني: الحرام[2].

الدِّراسة:

ورد في المراد بـــ(الخبيث) عدة أقوال:

١. الحرام.

روي عن عطاء، والحسن[3]، وقاله البغوي[4]، وابن كثير[5].

٢. المشرك.

روي عن السُّدِّي، وابن جرير[6]، ومكِّي[7].

٣. العاصي[8].

---

(١) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(ك ع ب)

(٢) مجالس ثعلب٢/٣٧٦

(٣) الوسيط للواحدي٢/٢٣٣

(٤) معالم التنزيل٣/١٠٤

(٥) تفسير القرآن العظسم٣/٢٠٣

(٦) جامع البيان للطيري٩/١٢

(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية٣/١٨٨٦

(٨) ينظر: جامع البيان للطيري٩/١٢، وزاد المسير٢/٤٣٣

٤. والرديء[1].

النتيجة:

لا يوجد دليل صريح في تخصيص المراد بـــ(الخبيث) ، لكن الصحيح اشتمال الآية على جميع ما ذكر وهو من التفسير بالمثال.

قال ابن عطية: والآية لفظ عام في جميع الأمور ، يتصور في النَّاس، والمعارف من العلوم ونحوها فـــ(الخبيث) من هذا كله لا يفلح ولا ينجب ولا تحسن له عاقبة[2].

وقال أبو حيَّان: والأحسن حمل هذه الأقوال على أنها تمثيل للطيب والخبيث لا قصر اللفظ عليها[3].

(١) ينظر: النكت والعيون٢/٧٠ ، وزاد المسير٢/٤٣٣

(٢) المحرر الوجيز٢/٢٤٤، وينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي٨/٢٢٤، وفتح القدير٢/٨١

(٣) البحر المحيط٤/٢٧

(٩١) قوله تعالى : ﴿ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ ﴾ المائدة: ١٠٣

قال أبو العبَّاس ثعلب: وأجمع النَّاس كلهم على أن الوصيلة لا تكون إلا في الغنم[١].

الدِّراسة:

قول ثعلب –رحمه الله– على أنه قول الأكثرين من النَّاس، وإلا في المسألة قولان:

القول الأول: أن الوصيلة لا تكون إلا في الغنم، وهو قول الأكثرين من المفسِّرين وأهل اللغة[٢].

وعلى هذا القول جاء في معنى الوصيلة عدة أوجه:

الأول: الشاة تنتج سبعة أبطن فإن كان السابع أنثى لم تنتفع النساء منها بشيء إلا أن تموت فيأكلها الرّجال والنساء، وإن كان ذكراً ونحوه أكلوه جميعاً. فإذا كان ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها، فتترك مع أخيها فلا تذبح ومنافعها للرّجال دون النساء، فإذا ماتت اشترك الرّجال والنساء فيها.

الثاني: الشاة تنتج عشرة أبطن متواليات في خمسة أبطن وما ولدت بعد ذلك فللذكور دون الإناث.

---

(١) ياقوتة الصراط: ٢١٤

(٢) ينظر: معاني القران ، للفراء١/٣٢٢، ومعاني القرآن، للزجاج ٢/٢١٣، والمحرر الوجيز ٢/٢٤٨، والبحر المحيط٤/٢٩، وتهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب مادة(و ص ل)

الثالث: الشاة تلد ثلاثة أبطن أو خمسة فإن كان آخرها جدياً ذبحوه لآلهتهم أو عناقاً استحيوها وقالوا هذه العناق وصلت أخاها فمنعته من الذبح [1].

القول الثاني: ما روي عن مسرق[2]، وسعيد بن المُسَيِّب أن الوصيلة تكون في الإبل.

عن مسروق قال:كانوا إذا ولدت الناقة الذكر أكله الذكور دون الإناث وإذا ولدت ذكرا وأنثى في بطن قالوا وصلت أخاها فلا يأكلونهما قال فإذا مات الذكر أكله الذكور دون الإناث.

وعن سعيد بن المُسَيِّب قال: الوصيلة من الإبل كانت الناقة تبتكر بأنثى ثم تثني بأن ثى فيسمونها الوصيلة يقولون وصلت اثنتين ليس بينهما ذكر فكانوا يجدعونها لطواغيتهم[3].

النتيجة:

لا تعارض بين القولين وإن كان الأكثر في قول أهل العلم و النَّاس أن الوصيلة في الغنم،فهذا والله تعالى أعلم من اختلاف التنوع واختيارهم لهذا على ما كان أكثر في الجاهلية.

فالوصيلة هي بهائم الجاهلية غنماً كانت أو نوقاً، وهي ما جاءت بتوأم في بطنها ذكراً وأنثى فوصلت الأنثى بالذكر ودفعت عن أخيها الذبح[4].

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/٣٠-٣٩، والبحر المحيط٤/٢٩

(٢) مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية، أبو عائشة الوادعي الهمداني الكوفي، من كبار التابعين، توفي سنة ٦٣هـ، وينظر: طبقات ابن سعد٦/٧٦، وسير أعلام النبلاء٤/٦٣

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/٣٢،٣٦،٣٨

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/٣٠،٣٩، والهداية إلى بلوغ النهاية٣/١٨٩٦

(٩٢) قوله تعالى : ﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء
المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم
الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان
الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس
الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف
محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة
الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق
التحريم الملك القلم الحاقة ﴾ المائدة: ١٠٦ – ١٠٧

قال : أي : يشهد ﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة ﴾ من غير أهل دينكم من النصارى أو اليهود، وهذا في السفر للضرورة، لأنه لا يجوز شهادة كافر على مسلم، هذه الشهادة لكافرين ﴿ الأنفال التوبة يونس هود يوسف ﴾ للضرورة.

ولا يجوز الشهادة لهما في غير هذا ﴿ الإسراء الكهف مريم طه ﴾ وهذا لا يكون في الإسلام أن يحبس المسلم حتى يحلف بعد الصلاة ﴿ الأنبياء الحج ﴾ الكافران ﴿ المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل ﴾ بأيماننا ﴿ القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ﴾ ، ﴿ الزخرف الدخان ﴾ أي:

أطلع بعد ذا عليهما بأنهما قد اختانا﴿ وَمُحَمَّدٌ الْفَتْحُ الْحُجُرَاتُ قٓ الذَّارِيَاتُ ﴾مقام النصرانيين. والنصرانيان ممن استحقت الخيانة فيهم فقال ﴿الْقَمَرُ الرَّحْمَٰنُ الْوَاقِعَةُ ﴾ أي: استحقت الخيانة فيهم فقال : ﴿الْقَمَرُ الرَّحْمَٰنُ الْوَاقِعَةُ ﴾أي: استحقت الخيانة. استحقها المسلمان على النصرانيين. الأوليان هما استحقا على النصرانيين [1].

الدِّراسة:

في الآيتين عدة مسائل، وسوف أتناول دراسة المسائل الآتية -بإذن الله-:

١. المراد بـــ قوله﴿ سُورَةُ الْفَاتِحَةُ الْبَقَرَةُ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءُ الْمَائِدَةُ الْأَنْعَامُ الْأَعْرَافُ ﴾ وفيه قولان:

الأول: من المسلمين أو آخران من غير المسلمين.

وهذا قول جمهور المفسِّرين[2].

الثاني: من عشيرتكم وحيِّ الموصي أو آخران من غير قبيلتكم وعشيرتكم.

وهذا قول الزُّهري، والحسن، وعكرمة[3].

٢. المراد بـــ﴿ الْحُجُرَاتُ قٓ الذَّارِيَاتُ ﴾

أي: آخران من أولياء الميت وقيل : ورثة الميت وقيل: رجلان عدلان من المسلمين، يقومان مقام الوصيين أو مقام اللذين كذبا وخانا[4].

٣. ﴿الطُّورُ النَّجْمُ الْقَمَرُ الرَّحْمَٰنُ الْوَاقِعَةُ ﴾وفيه ثلاثة أقوال:

١ -أن (على) على بابها بمعنى: من الذين استحق عليهم الإثم وهو الإيصاء الذي حُلف عليه، و(الأوليان) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هما الأوليان، أو أنه بدل من ضمير (آخران) أو(يقومان).

---

(١) مجالس ثعلب ٢٩٩/١، ٣٨٩/٢، ينظر:المحكم والمحيط الأعظم٢٣٦/٥، ولسان العرب١٣/٤

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٥٦/٩-٥٧،٦١-٦٧، والجامع لأحكام القرآن٢٦٠/٨

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري ٥٧/٩-٥٨،٦٧-٧٠، والهداية إلى بلوغ النهاية ١٩١٨/٣، والجامع لأحكام القرآن٢٦٢/٨

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري٨٢/٩-٨٥، والنكت والعيون ٧٥/٢، والجامع لأحكام القرآن٢٧٥/٨

٢ -أن (على) بمعنى (في) والتقدير: من الذين استحق فيهم أي : بسببهم إثم الأولين، و(الأوليان) في محل جر مضاف إليه على تقدير حذف مضاف، والتقدير : إثم الأولين.

ويدل على هذا القول قراءة حمزة ورواية أبي بكر عن عاصم(الأولين)[1] .

٣ -أن (على) بمعنى(من) والتقدير: من الذين استحق منهم الأوليان[2].

٤. المراد بـــ(الأوليان):

الأول: الأوليان بالميت من الورثة.

الثاني: الأوليان بالشهادة من المسلمين.

وهذه الأقوال على أن الأوليان مُثنىَّ أولى.

الثالث: اللذان حلفا كذبا.

وهذا القول على قراءة حمزة(الأولين) لأنه مُثنىَّ أول[3].

النتيجة:

قوله تعالى:﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَة آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَة الأَنْعَام الأَعْرَاف ﴾

الراجح القول الأول شهود عدل من المسلمين أو وشهود من غير المسلمين مع يمين بعد الصلاة عند عدم وجود مسلمين في السفر.

ورجحت هذا القول لما يلي:

١ -لأن الخطاب في الآية لجميع المؤمنين، ولو كان الآخران من المؤمنين لم يكن جواز الاستشهاد بهم مشروطاً بالسفر.

٢ -إضافة اليمين مع الشهادة على الآخرين مما يدل على اختلافهم و أنهما محل ريبة.

٣ -تحديد وقت اليمين بعد الصلاة لأنه معظم عند الكفار وخاصة أهل الكتاب [1]، بخلاف المسلمين فاليمين معظمه في جميع الأوقات.

---

(١) ينظر:السَّبعة١٨٩-١٩٠، جامع البيان، للداني١٠٣١/٣

(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٢١٧/٢، والنَّاسخ والمنسوخ، للنحاس ٣١٣/٢، والدر المصون ٤٧٣/٤-٤٧٨

(٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء٣٢٤/١، وجامع البيان، للطبري١٠٣/٩، والنكت والعيون ٧٧/٢، والجامع لأحكام القرآن٢٧٥/٨-٢٧٧

٤ -ما روي في سبب نزول الآية عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري[٢] وعدي بن بدَّاء[٣] فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته فقدوا جاماً[٤] من فضة مخوصاً بالذهب، فأحلفهما رسول الله ﷺ، ثم وجد الجام بمكة فقالوا: اشتريناه من تميم الداري وعدي بن بدَّاء، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما وأن الجام لصاحبهم ، قال: وفيهم أنزلت: ﴿ ﴾[٥].

وأما القول بأن شهادة الفُسَّاق لا تجوز، والكفار من باب أولى، فالجواب: هذا صحيح، لكن يستثنى من ذلك أهل الكتاب عند الضرورة مثل السفر وعدم وجود المسلمين.

وهذا القول هو الأشبه بسياق الآية، والموافق لسبب النزول.

قوله تعالى: ﴿ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ ﴾

ومعنى هذه الجملة متوقف على القول في مراد قوله تعالى :﴿ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ ﴾ والقول المختار فيها أن معنى (على) على بابها، لأنه لا يحمل الحرف على غير معناه الأصلي ولا يعدل عنه إلا عند التعذر، والأقوال الأخرى لا يخفى التكلف فيها.

والمعنى: من الذين استحقت عليهم الوصية التي أثم فيها الحالفان.

والآخران يراد بهم ورثة الميت لأنهم هم الذين يتحملون هذه الوصية وهم المدعى عليهم.

والضمير في (مقامهما) عائد إلى الأقرب وهم الحالفان من غير المسلمين.

---

(١) أهل الكتاب: هم الخارجون عن الدين الإسلامي ممن لهم كتاب كالتوراة لليهود والإنجيل للنصاري، ويطلق كذلك على من لهم شبهة كتاب كالمجوس، ينظر : الملل والنحل للشهرستاني ٢٤٧/١، والعقائد والأديان لعبد القادر صالح :٦٩.

(٢) تميم بن أوس بن خارجة ب سود أبو رقية الداري، صحابي جليل، توفي سنة، ٤٠هـ، وينظر: أسد الغابة٤٢٨/١، والإصابة٤٨٧/١.

(٣) عدي بن بدَّاء، وقيل: بن بندا، اختلف في إسلامه وصحبته، وينظر: أسد الغابة٤/٥، والإصابة٣٨٧/٤.

(٤) جَامَاً: إناء، ينظر: فتح الباري٤١١/٥، وعمدة القارئ٧٦/١٤.

(٥) أخرج البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى:﴿ ﴾، رقم (٢٦٢٨)، وجامع البيان، للطبري٨٧/٩

و(الأوليان) هم الآخران لأنهم هم الذين استحقوا الإثم.

(٩٣) قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ المائدة: ١١٤

وقال في قوله عز وجل: ﴿صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ﴾، أي: علامة[1].

الدِّراسة:

هذا قول جمهور المفسِّرين[2].

وقد يضاف إلى هذا المعنى الإعجاز، فالآية في القرآن من معانيها المعجزة، فمعنى الآية هنا أن هذه المائدة معجزة منك للسائلين، وعلامة صدق رسالة التوحيد و الرَّسول، وحجة وبرهاناً على السائلين.

قال ابن جرير: معناه وعلامة وحجة منك يا رب على عبادك في وحدانيتك وفي صدقي على أني رسول إليهم بما أرسلتني به[1].

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٧٠

(٢) ينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة ١/١٨٩، و جامع البيان، للطبري٩/١٢٥، والهداية إلى بلوغ النهاية ٣/١٩٤٠، والمحرر الوجيز٢/٢٦١، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير٣/٢٢٥

ومن معاني الآية في القرآن ما يلي:

الأول:الآية القرآنية المعروفة.

الثاني: العلامة الدالة على الشيء، كمثل هذه المسألة.

الثالث: المعجزة التي فوق قدرة الخلق، كما في هذه المسألة.

الرابع: القرآن. كما في قوله تعالى:﴿ ﴾ الأنعام: ٤.

الخامس: العبرة. كما قوله تعالى في سورة مريم:٢١﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ أي: عبرة للناس.

السادس: الأوامر والنواهي. كما في قوله تعالى :﴿ الْأَعْرَافِ الْأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ البقرة: ١٨٧ أي: أمره ونهيه[٢].

(١) جامع البيان٩/١٢٥، وينظر: معنى (الآية) واشتقاقها في تهذيب اللغة، ومفودات ألفاظ القرآن، للراغب، مادة(أ ي)

(٢) ينظر: إصلاح الوجوه والنظائر، للدامغاني:٦٠-٦١، وبصائر ذوي التمييز٢/٦٣-٦٦

سورة الأنعام

(٩٤) قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ الأنعام: ١٠

وفي التنزيل: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ ﴾، قال ثعلب: كانوا يقولون لا عذاب ولا آخرة، فحاق بهم العذاب الذي كذبوا به، وأحاقه الله به: أنزله[١].

الدِّراسة:

الفعل حاق أصله من حاق يحيق حيقاً فهو من الحَيق على معنى نزل أو وجب، وقيل : مِنْ الحَوق على معنى عاد أو أحاط، وكل هذه المعاني متقاربة في اللغة وجاءت في تفسير الآية[٢].

الأقوال:

١. نزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزؤون به.

٢. وجب عليهم العذاب.

٣. أحاط بهم الاستهزاء.

٤. عاد عليهم استهزاءهم[٣].

النتيجة:

المعاني المذكورة في معنى الآية متقاربة ولا تعارض بينها، فيمكن حمل معنى الآية على الجميع، فهذا الاستهزاء من الكفار بالعذاب عاد عليهم وأحاط بهم فوجب ونزل عليهم.

قال ابن جرير: ﴿ ﴾ فنزل وأحاط بالذين هزءوا برسلهم[٤].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم٣/٧١، وينظر:لسان العرب١٠/٧١

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، مقاييس اللغة، ، والمحكم والمحيط الأعظم، ولسان العرب، مادة(ح ق)

(٣) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٢/٢٣١، معاني القرآن، للنحاس٢/٤٠٣، مفردات القرآن، للراغب، مادة (ح ق)، والبحر المحيط٤/٦٦، والدر المصون٤/٥٤٦

(٤) ينظر: جامع البيان٩/١٦٥

(٩٥) قوله تعالى :﴿الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء﴾ الأنعام: ١٣

وقال أبو ال عبَّاس في قوله تعالى :﴿الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد﴾ قال: إنما الساكن من النَّاس والبهائم خاصة، قال: سكن هدأ بعد تحرك، وإنما معناه والله أعلم: الخلق[1].

الدِّراسة:

اختلف في اشتقاق الفعل(سكن) هل هو مأخوذ من السُّكَنى أو السُّكُون:

الأول: من (السُّكَنى)، والمعنى يكون: ما استقر وثبت في الليل و النَّهار فيكون عاماً لجميع الخلق[2].

الثاني: من (السُّكُون) والمعنى: وله ما كان ساكن في الليل والنَّهار.

قيل: اقتصر على الساكن دون المتحرك لأنه الأكثر[3].

لكن ضَعَّفه ابن عطية فقال: والمقصد في الآية عموم كل شيء، وذلك لا يترتب إلا أن يكون **(سكن)** بمعنى: استقر وثبت، وإلا فللتحرك من الأشياء المخلوقات أكثر من السواكن ، ألا ترى إلى الفلك والشَّمس والقمر والنَّجوم السَّابحة والملائكة وأنواع الحيوان والليل و النَّهار حاصران للزمان[4].

وأجيب على اعتراض ابن عطية فقيل:

١. اقتصر على الساكن لأن كل متحرك قد يسكن وليس كل ما يسكن يتحرك.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة١٠/٤٠، ولسان العرب١٣/٢١١

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ٩/١٧٤، ومعاني القرآن، للنحاس٢/٤٠٥، والهداية إلى بلوغ النهاية ٣/١٩٧١، والمحرر الوجيز٢/٢٧٢

(٣) ينظر: المحرر الوجيز٢/٢٧٢، والبحر المحيط٤/٨٣

(٤) المحرر الوجيز٢/٢٧٢

٢. وقيل:في الآية محذوف والتقدير: وله ما سكن وتحرك في الليل والنَّهار، فحذف ذكر الحركة واكتفى بذكر السكون، كقوله:﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ النحل : ٨١، يعني: الحر والبرد(١).

قال أبو حيَّان بعد ذكر هذين الجوابين: فكل واحد من هذين القولين يترتب معه العموم ، فلم ينحصر العموم فيما ذكر ابن عطية!!(٢)

النتيجة:

الجمهور على أن المقصد في الآية هو عموم المخلوقات، لكن اختلف في اشتقاق الفعل، وتُوهم أن الاختلاف في ذلك قد يؤدي إلى التغيير في مقصد الآية، إلا أن ما ذكر في دراسة المسألة دَفع ذلك التوهم وجمع بين القولين في الاشتقاق، وأن كلا القولين مؤداهما واحد، والله تعالى أعلم.

قال ابن جرير : ﴿ ٱلْأَنْعَٰمِ ٱلْأَعْرَافِ ٱلْأَنفَالِ ٱلتَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ ٱلرَّعْدِ ﴾ يقول: وله ملك كل شيء، لأنه لا شيء من خلق الله إلا وهو ساكن في الليل والنَّهار(٣).

(١) ينظر: الوسيط، للواحدي٢/٢٥٦، وينظر: الكشف والبيان، للثعلبي٤/١٣٨، والبحر المحيط٤/٨٣-٨٤

(٢) البحر المحيط٤/٨٤

(٣) جامع البيان٩/١٧٤، وينظر: تفسير القرآن العظيم٣/٢٤٣

(٩٦) قوله تعالى :﴿ الْعَصْرِ الْهُمَزَةِ الْفِيلِ قُرَيْشٍ الْمَاعُونِ الْكَوْثَرِ الْكَافِرُونَ النَّصْرِ الْمَسَدِ الْإِخْلَاصِ الْفَلَقِ النَّاسِ ﴾ بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الأنعام: ٢٧ ﴾

قوله:﴿ النَّصْرِ الْمَسَدِ الْإِخْلَاصِ الْفَلَقِ ﴾. قال: من نصب فالواو حرف جواب ، ومن رفع أدخله في التمني[١].

الدِّراسة:

قول الإمام ثعلب –رحمه الله– هو في توجيه قراءة ﴿ الْإِخْلَاصِ الْفَلَقِ ﴾ على النصب والرفع.

القراءات في قوله ﴿ الْإِخْلَاصِ الْفَلَقِ ﴾ مع التوجيه:

أولاً: قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، وعاصم في رواية أبي بكر، وابن عامر في رواية هشام[٢]، بالرفع[٣].

وهذه القراءة فيها ثلاثة أوجه:

الأول: الواو واو العطف، والتقدير :يا ليتنا نرد إلى الدنيا ويا ليتنا لا نكذب، فيكونون تمنوا الرد وعدم التكذيب.

---

(١) مجالس ثعلب٢/٥٨٢

(٢) هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة، أبو الوليد السلمي الدمشقي، أحد راويي قراءة ابن عامر الشامي أحد القراء السَّبعة، توفي سنة ٢٤٥هـ، وينظر:طبقات القراء، لابن الجزري٢/٣٥٤، وسير أعلام النبلاء١١/٤٢٠.

(٣) ينظر: السَّبعة:١٩٣، وجامع البيان، للداني٣/١٠٣٤

والأقرب في حالهم على النار أنهم يتمنون الرد لا الكذب لأنه هو الذي ليس باستطاعتهم بخلاف الكذب الذي باستطاعتهم، وهذا الاعتراض يُضعف هذا الوجه.

الثاني: الواو واو الحال، والتقدير: ياليتنا نرد للدينا وحالنا غير مكذبين، فيكون تمني الرد مقيد بهذه الحال.

الثالث: أن جملة(ولا نُكَذِّبُ) استئنافية لا تعلق لها بما قبلها، فليست داخلة في التمني، وتكو ن في محل نصب بالقول، والتقدير: فقالوا: يا ليتنا نرد، وقالوا: نحن لا نكذب بآيات ربنا.

ولا يخفى ما في هذا القول من التكلف في التقدير.

ثانياً: قرأ ابن عامر من رواية ابن ذكوان[1]، وحمزة، وعاصم من رواية حفص، بالنصب[2].

وه ذه القراءة فيها ثلاثة أوجه:

الأول: الفعل منصوب بإضمار(أن) بعد الواو التي بمعنى (مع)، و(أن) مصدرية يتكون منها ومن الفعل بعدها مصدر، والواو حرف عطف فيستدعي معطوفاً عليه مصدراً من جنسه، وما قبل الواو فعل، فلا بد من تقدير مصدر، يعطف عليه المصدر المكون من (أن) والفعل، والتقدير: يا ليت لنا رد وانتفاء تكذيب بآيات الله، فيكون التكذيب متمناً مع الرد.

الثاني: الفعل منصوب بإضمار (أن) بعد الواو التي هي حرف جواب التمني، والتقدير : إن رُدِدنَا لم نكذب بآيات ربنا.

الثالث: أن الواو بمعنى الفاء، والتقدير: يا ليتنا نرد فلا نكذب بآيات ربنا[3].

النتيجة:

على قراءة الرفع المختار أن الواو واو الحال، لسلامة هذا القول من الاعتراض والتكلف.

---

(١) عبد الله بن أحمد بن بشر، ويقال : بشير بن ذكوان، أبو محمد القرشي الفهري الدمشقي، أحد راويي قراءة ابن عامر الشامي، توفي سنة ٢٤٢هـ، وينظر:طبقات القراء، لابن الجزري١/٤٠٤، وسير أعلام النبلاء١١/٤٩٨.

(٢) ينظر: السَّبعة:١٩٣، وجامع ا لبيان، للداني٣/١٠٣٤

(٣) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس٢/٦٢، والكشف عن وجوه ا لقراءات السبع، لمكِّي ١/٤٢٧-٤٢٨، والبيان في إعراب غريب القرآن، للأنباري:٢٧٠، والبحر المحيط٤/١٠١، والدر المصون٤/٥٨٤-٥٩٠

أما على قراءة النصب فالمختار أن الواو على بابها بمعنى (مع) وهو الأولى لأنه يُبقي الحرف على بابه مع انتفاء الإشكال وصحة المعنى المراد.

(٩٧) قوله تعالى :﴿ الصَّافَّاتِ ص الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ ق الذَّارِيَاتِ الطُّورِ ﴾ الأنعام: ٣٣

قوله:﴿ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ ﴾. يقال: أكذبته إذا قلت ما جئت به كذب . وكذَّبته إذا قلت كذبت[1].

وقال أبو العبَّاس في قوله عز وجل : ﴿ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ ق الذَّارِيَاتِ الطُّورِ ﴾، قال: قد علموا ولكنهم يجحدون العلم والإقرار[2].

الدِّراسة:

قول الإمام ثعلب -رحمه الله- هو في توجيه قراءة الآية.

القراءة الأولى: قراء ابن كثير، وعاصم، وأبو عمرو، وحمزة، وابن عامر بالتشديد(يُكذِّبونك)، على معنى نفي تكذيبهم للرسول ﷺ، بل يعلمون صدقه، ولكنهم يكذبون ما جئت به.

(١) مجالس ثعلب١/٢٧١

(٢) مجالس ثعلب١/١٥٩

القراءة الثانية: قرأ نافع والكسائي بالتخفيف(يَكذِبونك)، على معنى نفي تكذيبهم لما جاء به الرَّسولﷺ، لكنهم يجحدون حقيقته، ويدل على ذلك آخر الآية[1].

وهذا هو ما اختاره الإمام ثعلب -رحمه الله- في قوله: قد علموا ولكنهم يجحدون العلم والإقرار.

النتيجة:

القراءات المذكورة كلها من القراءات المتواترة الصحيحة، فلا نرجح قراءة على أخرى، فالكل صحيح، والآية تحتمل ما جاء فيها من معانٍ في توجيه كل قراءة[2]، ولا تعارض بينها، بل إن قراءة التخفيف تحمل على قراءة التشديد، فمن لا يكذب الرسول لا يكذب ما جاء به، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: السَّبعة:١٩٤، وجامع البيان، للداني٣/١٠٣٧، والحجة لابن خالوية:٧٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع، لمكِّي١/٤٣٠-٤٣١، وشرح الهداية، للمهدوي ٢/٢٧٦-٢٧٧، ومعاني القرآن، للفراء ١/٣٣١، والكشاف، للزمخشري٢/١٧-١٨

(٢) ينظر: الأقوال في م عنى الآية عن السَّلف في جامع البيان، للطبري ٩/٢١٧-٢٢٣، ومعاني القرآن، للزجاج٢/٢٤٢-٢٤٣

(٩٨) قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ الأنعام: ٤٥

وفي التنزيل: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، **قال ثعلب: معناه استؤصلوا من آخرهم**[١].

الدِّراسة:

هذا هو معنى الآية عند المفسِّرين.

قال ابن جرير : يعني تعالى ذكره بقوله : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ فاستؤصل القوم الذين عتوا على ربهم وكذبوا رسله وخالفوا أمره عن آخرهم فلم يترك منهم أحد إلا أهلك بغتة إذ جاءهم عذاب الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل[٢].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم١/١٦١، وينظر: لسان العرب٨/٢٧٨

(٢) أهل التأويل: يطلق على الذين يصرفون اللفظ عن الاحتمال الراجح الظاهر إلى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن به، ويطلق على المفسِّرين للقرآن، كما يقول ابن جرير وغيره، ينظر: معجم ألفاظ العقيدة:٧٩، ومفهوم التفسير والتأويل:٨٩.

ثم قال:ودابر القوم الذي يدبرهم وهو الذي يكون في أدبارهم وآخرهم، يقال في الكلام: قد دبر القوم فلان يدبرهم دبراً ودبوراً إذا كان آخرهم، ومنه قول أمية[1] [2]:

فأهلكوا بعذاب حَ صَّ[3] دابرهم فما استطاعوا له صرفاً ولا انصَرَ روا[4]

فالعباد يبتليهم المولى تبارك وتعالى بالبأساء والضراء لعلهم يرجعون إليه ويتوبون، فإن كان منهم مقابل ذلك إعراض واستكبار أو غفلة عن التوبة والتضرع، استدرجهم بالنعم ثم أخذهم بغتة وهم لا يشعرون، فاستأصلهم جميعاً من أولهم إلى آخرهم، والثناء الكامل والشكر لهة رب العالمين.

(٩٩) قوله تعالى :﴿ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانشِقَاقِ ﴾ الأنعام: ٧٣

قال ثعلب: الأجود أن يكون (الصُّوْر) القرن لأنه قال عز وجل :﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ﴾، ثم قال:﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ ﴾ الزمر: ٦٨، ولو كان (الصُّوَر) كان (ثم نفخ فيها) أو (فيهن)[5] .

الدِّراسة:

قول ثعلب –رحمه الله– في استدلاله يدل على أنه واحد، فظاهر القرآن يشهد أنه ينفخ في الصوُّر مرتين.

---

(١) أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي، شاعر جاهلي ، توفي سنة ٥هـ، وينظر: الشعر والشعراء:١٧٦، والأعلام٢/٢٣.

(٢) ديوانه:٦٣

(٣) الحَصُّ: القطع والإحراق، والمعنى: بعذاب أهلكهم. ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(ح ص ص).

(٤) جامع البيان٩/٢٥٠، وينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة١/١٩٢، ومعاني القرآن، للنحاس٢/٤٢٥، وفي معنى(دابر) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(د ب ر)

(٥) زاد المسير٣/٦٩

الأقوال في المراد بـــ(الصُّور) في الآية:

الأول: قرن ينفخ فيه.

وهذا قول الجمهور[1]، تؤيده الآية والأحاديث.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النَّبي ﷺ، فقال: ما الصور؟ قال: **(قرن ينفخ فيه)**[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النَّبي ﷺ قال:**(كيف أنعم، وصاحب الصور قد التقمه، وأصغي سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر)**، فقالوا يا رسول الله: وما تأمرنا، قال: **(قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل)**[3].

الثاني: جمع صورة، ويراد به: النفخ في صور النَّاس[4].

وتؤيده قراءة الحسن وقتادة(الصُّوَر)[5].

النتيجة:

الراجح قول الجمهور، وهو ما وافق القرآن والسُّنَّة وقراءة الجمهور، وخالف القراءة الشاذة، والله تعالى أعلم.

قال ابن جرير: والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ[6].

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/٣٣٩-٣٤٠، معاني القرآن، للنحاس٢/٤٤٧، والهداية إلى بلوغ النهاية٣/٢٠٧٠، معالم التنزيل٣/١٥٧، والمحرر الوجيز٢/٣٠٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير٣/٢٨١

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب ما في ذكر البعث الصو ر، رقم(٤٧٤٢)، والترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في نفخ الصور، رقم (٣٢٤٤)، وقال: حديث حسن، والحاكم في مستدركه ٤/٦٠٤، وقال: صحيح الإسناد.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في نفخ الصور، رقم (٣٢٤٣)، وقال: هذا حديث حسن، والإمام أحمد في مسنده ٣/٧٣، والحاكم في مستدركه ٤/٦٠٣، وقال: ولولا أن أبا يحيى التيمي على الطريق لحكمت للحديث بالصحة على شرط الشيخين رضي الله عنهما.

(٤) ينظر: مجاز القرآن١/١٩٦

(٥) قراءة شاذة، ينظر: إعراب القراءات الشواذ١/٤٨٨، وإتحاف فضلاء البشر٢/١٧، والبحر المحيط٤/١٦١، والدر المنثور٣/٤٣، وقراءة الجمهور(الصُّوْر).

(٦) جامع البيان٩/٤٣٢

وقال القرطبي بعد ذكر القول الثاني: وهذا وإن كان محتملاً، فهو مردود بما ذكرناه من الكتاب والسنَّة[1].

(١٠٠) قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلُ الْمُدَّثِّرُ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى﴾ الأنعام: ٨١

أي: كيف أخاف آلهتكم وأنتم لا تخافون الله[2].

الدِّراسة:

وهذا هو قول جمهور المفسِّرين في معنى الآية[3]، ونوع الاستفهام هنا للتعجب والإنكار والتوبيخ لهم على ضلالهم[4].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن٨/٤٣١

(٢) مجالس ثعلب١/٢٦٣

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية٣/٢٠٨٨، معالم التنزيل٣/١٦٤، المحرر الوجيز٢/٣١٥، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير٣/٢٩٤

(٤) ينظر: البحر المحيط٤/١٧٠

قال ابن جرير: وهذا جواب إبراهيم لقومه حين خوفوه من آلهتهم ، أن تمسَّه -لذِكره إياها بسوء في نفسه- بمكروه، فقال لهم: وكيف أخاف وأرهب ما أشركتموه في عبادتكم ربكم، فعبدتموه من دونه، وهو لا يضر ولا ينفع، ولو كانت تنفع أو تضر، لدفعت عن أنفسها كسري إياها، وضربي لها بالفأس، وأنتم لا تخافون الله الذي خلقكم ورزقكم ، وهو القادر على نفعكم وضركم في إشراككم في عبادتكم إياه[1].

(١٠١) قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ الأنعام: ٨٢

أي: لم يلبسوه بغيره [2].

الدِّراسة:

في المسألة قولان:

الأول: جاء عن الجمهور أنهم لم يلبسوه بشرك[3]، وهو أشد أنواع الظلم، فيه ظلم العبد لربه ونفسه.

الثاني: المعصية، ويشمل سائر أنواع الظلم.

قاله الزمخشري، وجماعة[1].

---

(١) جامع البيان، للطبري٩/٣٦٥-٣٦٦

(٢) مجالس ثعلب١/٢٢٤

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/٣٦٩-٣٧٧، والبحر المحيط٤/١٧١

النتيجة:

الراجح القول الأول وهو قول الجمهور، ويؤيده تفسير النَّبي ﷺ له، وهو مقدم على غيره من الأقوال.

عن ابن مسعود ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ قال: فقال رسول الله ﷺ:(**ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه :** ﴿ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ لقمان: ١٣)[٢].

(١٠٢) قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴿ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **صدق الله العظيم** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ الأنعام: ٩١

معنى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾: ثلاثة أقوال:

أحدها: ما عظموا الله حق عظمته ، قاله ابن عبَّاس، والحسن ، والفراء [٣]، وثعلب ، والزَّجاج[٤].

---

(١) الكشاف٢/٤٠، وينظر: جامع البيان، للطبري٩/٣٧٧، والنكت والعيون٢/١٣٨، والبحر المحيط٤/١٧١

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين، رقم (٦٥٣٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، رقم(١٢٤)

(٣) معاني القرآن١/٣٤٣

(٤) معاني القرآن٢/٢٧١

والثاني: وما وصفوه حق صفته، قاله أبو العالية، واختاره الخليل.

الثالث: ما عرفوه حق معرفته، قاله أبو عبيدة[1].

الدِّراسة:

القول الأول اختاره ابن جرير[2]، ومكِّي[3]، وابن كثير[4].

والقول الثالث اختاره اليزيدي[5]، وحسنَّه النَّحاس[6]، ورجحه ابن عطية[7].

وجمع القرطبي بين الأول والثالث، فقال: وشرح هذا أنهم لما قالوا :﴿ ﴾﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم ﴾ نسبوا الله عز وجل إلى أنه لا يقيم الحجة على عباده ولا يأمرهم بما لهم فيه الصلاح، فلم يعظموه حق عظمته، ولا عرفوه حق معرفته[8].

النتيجة:

قال ابن عطية:﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ هو من توفية القدر والمترلة فهي عامة يدخل تحتها من لم يعرف ومن لم يعظم وغير ذلك[9] .

وكلام ابن عطية يدل على أن القول الأول والثالث يدخل في معنى توفية القدر، وأما القول الثاني فهو لازم من لوازم المعرفة، فإذا عُرف الشيء حق المعرفة وصف حق الوصف، فلا يوصف بالوصف الحقيقي إلا بعد المعرفة الحقيقة له.

---

(١) زاد المسير٣/٨٣، وينظر: العين٥/١١٣، ومجاز القرآن١/٢٠٠، والبحر المحيط٤/١٧٧

(٢) جامع البيان٩/٣٩٣

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية٣/٢٠٩٩

(٤) تفسير القرآن العظيم٣/٣٠٠

(٥) غريب القرآن:١٣٩

(٦) معاني القرآن٢/٤٥٦

(٧) المحرر الوجيز٢/٣٢٠

(٨) الجامع لأحكام القرآن٨/٤٥٥

(٩) المحرر الوجيز٢/٣٢٠

وبناءاً على ما تقدم فلا تعارض بين م ا ذكر من أقو ال في (التقدير)، إلا أن الأولى منها والمقدم هو ما أيده سياق الآية، وهو القول الثالث.

قال النَّحاس: هذا قول حسن لأن معنى قدرت الشيء وقدر ته عرفت مقداره، ويدل عليه قوله جل وعلا : ﴿الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم ﴾ أي: لم يعرفوه حق معرفته إذ أنكروا أن يرسل رسولا[1].

وقال ابن عطية:غير أن تعليله بقوله:﴿ ﴾﴿بِسْمِ ﴾ يقضي بأنهم جهلوا و لم يعرفوا الله حق معرفته[2].

ولعل من اختار القول بالتعظيم حمله على الأشهر في معنى التقدير، مثل قوله تعالى :

﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الزمر: ٦٧

فالتقدير في هذه الآية الأولى أن يحمل على التعظيم لله، والله تعالى أعلم.

(١٠٣) قوله تعالى :﴿ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْإِنْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْإِنْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ ﴾ الأنعام: ٩٤

﴿ الشَّمْسَ اللَّيْلَ الضُّحَى ﴾.

بفتح النون أي: ما بينكم .

وبينُكم (بضم النون) أي: وصلكم[1].

(١) معاني القرآن٢/٤٥٦

(٢) المحرر الوجيز٢/٣٢٠

الدِّراسة:

قول الإمام ثعلب -رحمه الله- هو في توجيه القراءات في الآية.

القراءة الأولى: قرأ نافع والكسائي وحفص عن عاصم بالنصب(بينَكم) على الظرف.

والتقدير عند أهل الكوفة: تقطع ما بينكم، على أن (ما) موصولة وصلتها (بينكم) وحذف الموصول لدلالة الصلة عليها.

ويؤيد هذا التوجيه قراءة عبد الله بن مسعودﷺ، ومجاهد، والأعمش[٢] (لقد تقطع ما بينَكم)[٣].

وعند أهل البصرة: تقطع الأمر أو السبب بينكم، فلا يقولون بالصلة، لأن الصلة والموصول اسم واحد، ومحال أن يحذف صدر الاسم ويبقى آخر الاسم.

القراءة الثانية: قرأ الباقون بالرفع (بينُكم)، على أنها اسم، والمعنى: تقطع وصلكم[٤].

والقراءتان معناهما واحد.وقال الزَّجاج والأزهري: وقراءة الرفع أجود[٥].

(١٠٤) قوله تعالى:﴿ ﴾ الأنعام: ١٠٥

﴿ ﴾

دَارَسَتْ اليهودَ، ودَرَسْتَ في نفسك، ودُرِسَتْ: دَرَسها النَّاس من قبلك .

ودَرَسَتْ: تقادمت ومضت[٦].

الدِّراسة:

(١) مجالس ثعلب١/٢٦٣

(٢) سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد الأسدي الكاهلي مولاهم الكوفي، المقرء والمحدث، توفي سنة ١٤٨هـ، وينظر: طبقات القراء، لابن الجزري١/٣١٥، وسير أعلام النبلاء٦/٢٢٦.

(٣) ينظر: كتاب المصاحف١/٣١٥، ومختصر الشواذ: ٣٩، والمحرر الوجيز٢/٣٢٥، والبحر المحيط٤/١٨٣

(٤) ينظر: السَّبعة:١٩٩-٢٠٠، جامع البيان القراءات السبع ٣/١٠٥٦، القراءات وعلل النحويين ١/١٩٠، والحجة في القراءات السبع، لابن خالويه :٧٨، وحجة القراءات، لابن زنجلة :٢٦١، والكشف في وجوه القراءات السبع١/٤٤٠-٤٤١، والبحر المحيط٤/١٨٢-١٨٣، والدر المصون٥/٤٨-٥٦

(٥) ينظر:معاني القرآن٢/٢٧٣، والقراءات وعلل النحويين١/١٩٠

(٦) مجالس ثعلب١/١١٧، وينظر تهذيب اللغة١٢/٢٥٠

ما جاء عن الإمام ثعلب-رحمه الله- هو ذكر للقراءات المتواترة في كلمة: ﴿ ﴾

وإحدى القراءات الشاذة فيها مع التوجيه، وإليك بيانها:

أولا: دَارَسْتَ: دَارَسْتَ اليهودَ، قرأها ابن كثير وأبو عمرو.

ثانياً: دَرَسَتَ : تقادمت ومضت، أي بليت وأصبح ما جئت به أساطير الأولين، قرأها ابن عامر.

ثالثاً: دَرَسْتَ: دَرَسْتَ في نفسك، أي: تعلمت وقرأت، قرأها باقي السَّبعة [1].

رابعاً: دُرِسَت: دَرَسها النَّاس من قبلك اليهود وغيرهم، وهي قراءة شاذة عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما بخلف عنه، والحسن، وقتادة[2].

النتيجة:

ما جاء في الآية من معانٍ على هذه القراءات الصحيحة تحمل عليه الآية، ولا تعارض بينها فالكل محتمل، ويُعدُّ هذا من بلاغة القرآن وإعجازه، والله تعالى أعلم.

(١٠٥) قوله تعالى :﴿ الْمُطَفِّفِينَ الِانشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ ﴾ الأنعام: ١١٠

﴿ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ ﴾.

قال: العمه: الذي لا يعرف الحجة .

والطغيان: هو الضلال. وقال: أصل الطغيان: الارتفاع، ومنه: طغى الماء أي : ارتفع .

قال: ثم ضرب مثلا للمتكبر[3].

الدِّراسة:

---

(١) وهناك غير ذلك في التوجيه للقراءات، ينظر : السَّبعة:٢٠١، جامع البيان القراءات السبع ١٠٥٧٦/٣، القراءات وعلل النحويين ١٩٥/١-١٩٦، والحجة في القراءات السبع، لابن خالويه:٧٩، حجة القراءات، لابن زنجلة : ٢٦٤-٢٦٥، والكشف في وجوه القراءات السبع ٤٤٣/١-٤٤٤، وجامع البيان، للطبري ٤٧١/٩-٤٧٨، والبحر المحيط١٩٧/٤، والدر المصون٥/٩٦-٩٨

(٢) وهناك غير هذه القراءة في الشواذ، ينظر : المحتسب٢٢٥/١-٢٢٦، ومختصر الشواذ :٤٥، وجامع البيان، للطبري٤٧٢/٩، والبحر المحيط١٩٧/٤، والدر المصون٥/٩٦-٩٨

(٣) مجالس ثعلب٥٩٦/٢، ينظر: لسان العرب٥١٩/١٣

في هذه الآية الكلام حول معنى كلمتين:

الأولى: الطغيان.

الطغيان في اللغة من: طغى يطغى طغياً ويطغو طغياناً جاوز القدر وارتفع وعلا[1].

وللمفسِّرين في المراد بـــ(الطغيان) أقوال:

الأول: الكفر.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، و السُّدِّي [2].

الثاني: الضلال.

روي عن قتادة، و الرَّبيع، وأبي العالية[3].

الثالث: التكبر[4].

الثانية: العمه.

العمه في اللغة من: عمه يعمه عمها، فهو عمه وهم عمهون إذا ترددوا في الضلالة.

والعَمِه والعامه : الذي يتردّد متحيّراً لا يهتدي لطريقه ومذهبِه[5].

وهذا قول المفسِّرين في معنى العمه[6]، وقول الإمام ثعلب- رحمه الله- الذي لا يعرف الحجة في معنى قول أهل التفسير وأهل اللغة.

(عمه) العين والميم والهاء، أصل صحيح واحد يدل على حيرة وقلة اهتداء.

قال الخليل: عمه الرجل يعمه عمهاً وذلك إذا تردد لا يدري أين يتوجه[7].

النتيجة:

---

(١) ينظر: كتاب العين، وتهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، والصحاح، ولسان العرب، مادة(ط غ ى)

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٣٦٩/٤، والجامع لأحكام القرآن ٣١٧/١

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١٣٧٠/٤، والوسيط ٣١١/٢، ومعالم التنزيل ١٧٩/٣، وزاد المسير٣٦/١، والجامع لأحكام القرآن٣١٧/١

(٤) ينظر: زاد المسير٣٦/١

(٥) ينظر: كتاب العين، وتهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، والصحاح، ولسان العرب، مادة(ع م ه)

(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١٣٧٠/٤، والهداية إلى بلوغ النهاية ٢١٥١/٣، ومفردات الراغب، مادة(ع م ه)، والمحرر الوجيز٣٣٤/٢، وزاد المسير٣٦/١، والجامع لأحكام القرآن٣١٧/١

(٧) معجم مقاييس اللغة، مادة(ع م ه)

المراد بالطغيان في حق هؤلاء الظالمين يشمل ما ذكر من أقوال عن المفسِّرين، فبسبب إعراضهم عن الحق بعد ما جاءهم أمهلهم تعالى حتى يزيدهم في الكفر والضلال والتكبر والعتو متحيرين مترددين قلقين لأنهم ليس معهم حجة وبرهان وليسوا حق ويقين، فيكون ذلك زيادة في شقائهم وتعاستهم في الدنيا والآخرة، نسأل الله تعالى الهداية واليقين.

(١٠٦) قوله تعالى: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ الأنعام: ١٢٠

وقَوْلُه تَعالَى: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾. فسَّره ثَعلَبٌ فَقَالَ: ظاهِرُه: المُخالَّةُ، وباطِنُه: الزِّنَي[1].

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بـــ (ظاهر الإثم وباطنه) في الآية:

(١) المحكم والمحيط الأعظم٩/١٩٣

الأول: الظاهر: المُخالَّةُ، واتخاذ الأخدان، وهو العشق المحرم. والباطن: الزنا.

الثاني: الظاهر: علانية الإثم. والباطن: سره.

روي عن قتادة، و الرَّبيع بن أنس، ومجاهد[١]، قاله ابن جرير[٢]، والزَّجاج [٣]، ومكِّي [٤]، والبغوي[٥]، وابن عطية[٦]، وأبو حيَّان[٧]، وابن كثير[٨].

الثالث: الظاهر: ما حرم من النِّساء في النِّكاح. والباطن: الزنا.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وسعيد بن جبير[٩].

الرابع: الظاهر: أُولات الرايات من الزواني. والباطن: ذوات الأخدان.

روي عن السُّدِّي، والضَّحاك[١٠]، وقاله الفراء[١١].

قال السُّدِّي: أما ظاهره فالزواني في الحوانيت، وأما باطنه فالصديقة يتخذها الرجل فيأتيها سراً[١٢].

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري ٩/٥١٦-٥١٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٤/١٣٧٦-١٣٧٧، وزاد المسير٣/١١٣-١١٤

(٢) جامع البيان٩/٥١٩

(٣) معاني القرآن٢/٢٨٧

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية٣/٢١٦٧

(٥) معالم التنزيل٣/١٨٢

(٦) المحرر الوجيز٢/٣٣٩

(٧) البحر المحيط٤/٢١٢

(٨) تفسير القرآن العظيم٣/٣٢٣

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري ٩/٥١٦-٥١٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٤/١٣٧٦-١٣٧٧، وزاد المسير٣/١١٣-١١٤

(١٠) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/٥١٦-٥١٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٤/١٣٧٦-١٣٧٧، وزاد المسير٣/١١٣-١١٤

(١١) معاني القرآن١/٣٥٢

(١٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/٥١٦-٥١٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٤/١٣٧٦-١٣٧٧، وزاد المسير٣/١١٣-١١٤

الخامس: الظاهر: التعري والتجرد من الثياب وما يستر العورة في الطواف. والباطن: الزنا[١].

الزنا[١].

السادس: الظاهر: الأعمال. والباطن: الاعتقاد.

حَسَّنه ابن عطية[٢]، واختاره القرطبي[٣].

النتيجة:

ما ذكر من أقوال في تخصيص المراد بـــ (ظاهر الإثم وباطنه) كلها تخصيص بلا دليل، وبناءا على ذلك فالراجح العموم وهو القول الثاني، والأقوال الأخرى تدخل فيه لأنها من عموم المنهي عنه، والله تعالى أعلم.

والآية إذا احتملت وجوهاً في معناها لم يكن لأحد أن يصرف معناها لوجه دون وجه إلا بدليل.

(١٠٧) قوله تعالى: ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ ﴾ الأنعام: ١٢١

قال: كان الشياطين يسترقون السمع إلى أن أحرزت السَّماء[٤].

الدِّراسة:

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري ٥١٦/٩-٥١٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١٣٧٦/٤-١٣٧٧، وزاد المسير ١١٣/٣-١١٤

(٢) المحرر الوجيز ٣٣٩/٢

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١١/٩

(٤) مجالس ثعلب ١٣١/١

وقول ثعلب -رحمه الله- عن بيان مصدر إيحاء الشياطين إلى أوليائهم من الإنس، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ

اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ الحجر: ١٦ – ١٨، وقوله : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ الصافات: ٧ – ١٠

(١٠٨) قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ

اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ ﴾ الأنعام : ١٣٨

وقال أبو العبَّاس في قوله تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾.

قال : حرام لا يركبها إنسان .

والحرث : الزرع والإبل والغنم وكل ما كان من هذا[1].

الدِّراسة:

قول الإمام ثعلب –رحمه الله– في معنى (الحرث) الزرع والإبل والغنم وكل ما كان من هذا. يشكل عليه ما يلي:

– مخالفة المعنى اللغوي لكلمة (الحرث) فهي تطلق على ما يحرث [2]، وكيف يكون ذلك في الإبل والغنم؟!

– عطف الأنعام على الحرث، هذا العطف يقتضي المغايرة، وإذا قلنا لا يقتضي ذلك وهو تكرار من باب التوكيد، كان مخالفاً للقاعدة الأصولية التي تقول: التأسيس أولى من التوكيد، مع مخالفة المعنى اللغوي لكلمة(الحرث).

وأما قوله في معنى(حجر) حرام لا يركبها إنسان، فالحجر في كلام العرب الحرام، يقال : حجرت على فلان كذا، أي: حرَّمت عليه[3].

وهذا يقال فيه: كيف يحمل على تحريم الركوب ومنطوق الآية بعدها على الطعام، ثم بعد ذلك ذكر تحريم الركوب صريحاً مثل ما ذكر تحريم الطع ام منها فقال : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله﴾

النتيجة:

كل ما تقدم يرجح أن المراد بـــ(الحرث) ما يحرث وهو الزرع، والحَجْرُ على الطعام لا على الركوب، ولعل ما جاء عن الإمام ثعلب –رحمه الله– هو بيان للمعنى الإجمالي في الآية، والله تعالى أعلم.

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٦١، ٢/٥٨٢

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادةح ر ث)

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادةح ج ر)

(١٠٩) قوله تعالى : ﴿ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ ﴾ الأنعام: ١٤٢

في التنزيل: ﴿ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ ﴾ وفَرْشُها: كِبارُها، عن ثَعْلبٍ[1].

(١) المحكم والمحيط الأعظم٨/٥٠، وينظر: لسان العرب٦/٣٢٩

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بـــ(فرشاً):

الأول: صغار الإبل.

وحجة هذا القول: هو المعنى اللغوي للفرش، قال ابن فارس : (فرش) الفاء والراء والشين أصل صحيح يدل على تمهيد الشيء وبسطه[1].

قال ابن جرير: الفرش إنما هو صفة لما لطف فقرب من الأرض جسمه، ويقال له: الفرش. وأحسبها سميت بذلك: تمثيلا لها في استواء أسنانها، ولطفها بالفرش من الأرض ، وهي الأرض المستوية التي يتوطؤها النَّاس[2].

وقصروا ذلك على صغار الإبل لأن الوصف الذي قبلها كان عن الإبل، فكأنه يريد أن يقول: ومن الإبل ما هو كبير للركوب وللحمل، ومنها ما هو فرش صغير لطيف لا يمكن الحمل عليه.

روي عن ابن مسعود، وابن عبَّاسﷺ، ومجاهد، والحسن[3]، واختاره أكثر أهل اللغة [4]، والبغوي[5].

الثاني: الغنم وصغار الإبل والبقر.

قالوا: إن الغنم وصغار البقر يدخل في معنى الفرش اللغوي، فلا يقصر على صغار الإبل، فيكون المراد بـــ(فرشاً): ما لطف من الأنعام وقرب جسمه من الأرض، فيشمل أيضاً الغنم وصغار البقر.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (ف ر ش)

(٢) جامع البيان٩/٦٢٢

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري ٩/٦١٨-٦٢٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٥/١٤٠٠-١٤٠١، وزاد المسير٣/١٣٧

(٤) ينظر: معاني القرآن، للزجاج٢/٢٩٨، ومعاني القرآن، للنحاس٢/٥٠٤

(٥) معالم التنزيل٣/١٩٦

والآيات بعدها جاءت لبيان ما جُعل من الأنعام حمولة وفرشاً فقال تعالى :﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴿بِسْمِ ﴾

وقال:﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ ﴾ الأنعام: ١٤٣-١٤٤ فشمل الإبل والبقر والغنم، وهذه الآيات هي بدل من قوله:﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴾.

روي عن السُّدِّي[١]، واختاره ابن جرير[٢]، ومكِّي[٣]، وابن عطية[٤].

الثالث: الغنم.

وحجة هذا القول: أنها ألطف الأنعام الثلاث وأقربها إلى فرش الأرض، أو هي التي يصنع من صوفها فراشاً يفترش ويجلس عليه.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وأبي العالية، والحسن، وقتادة، الضَّحاك، و الرَّبيع بن أنس[٥].

الرابع: ما تأكلون وتحلبون وتتخذون من أصوافها لحافاً وفرشاً.

قاله ابن زيد[٦]، وحَسَّنه ابن كثير[٧].

القول الخامس: كبار الأنعام.

وهذا مما انفرد به الإمام ثعلب -رحمه الله-.

النتيجة:

إذا احتمل اللفظ معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها.

ولفظ(الفرش) في اللغة في معناها-كما تقدم- يمكن أن يكون في جميع الأنعام، فلما يقصر على الإبل دون غيرها، أو على الغنم، والآية في سياق الامتنان؟

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/٦٢٢، ومعاني القرآن، للزجاج٢/٢٩٨، وزاد المسير٣/١٣٧

(٢) جامع البيان٩/٦٢٢

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية٣/٢٢١٧

(٤) المحرر الوجيز٢/٣٥٤

(٥) ينظر:جامع البيان، للطبري٩/٦٢١-٦٢٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٥/١٤٠١، وزاد المسير٣/١٣٧

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري٩/٦٢٢، والبحر المحيط٤/٢٣٨

(٧) تفسير القرآن العظيم٣/٣٥٠

فالراجح أنه يراد به الغنم وصغار الإبل والبقر، والله تعالى أعلم.

(١١٠) قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله﴾ الأنعام: ١٤٧

قوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

قال تعالى: ﴿ فإن قيل: ما معنى هذا، وإنما يليق بتكذيبهم وعيد العذاب لا وعد الرحمة؟

قال ثعلب: هو الرحمة بتأخير العذاب عنهم، لا بترك أصل العذاب، وهذا حسن، بدليل قوله: ﴿﴾ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يعني: في القيامة إذا جاء وقته.

فسئل ثعلب أليس أن الله –تعالى– قد عذب الكفار في الدنيا؟ فقال: هذا في الكفار من قوم نبينا محمد لم يعذبهم الله ببركته فيهم، كما قال: ﴿الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ﴾ الأنفال: ٣٣ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء: ١٠٧[1].

الدِّراسة:

للجواب عن مشكل الآية ثلاثة أقوال:

الأول: رحمته للكفار في تأخير العذاب عنهم وعدم استعجاله.

قاله البغوي[2]، وابن عطية[3]، وابن الجوزي[4]، والرَّازي[5]، والقرطبي[6]، وأبو حيَّان[7]، وابن وابن كثير[8]، والشَّوكاني[9]، والألوسي[10]، وابن عاشور[11].

---

(١) تفسير القرآن، للسمعاني٢/١٥٣-١٥٤

(٢) معالم التنزيل٣/٢٠٠

(٣) المحرر الوجيز٢/٣٥٩

(٤) زاد المسير٣/١٤٤

(٥) مفاتيح الغيب٧/٢٣٦

(٦) الجامع لأحكام القرآن٩/١٠١

(٧) البحر المحيط٤/٢٤٦

(٨) تفسير القرآن العظيم٣/٣٥٦

(٩) فتح القدير٢/١٧٤

(١٠) روح المعاني٤/٢٩٢

(١١) التحرير والتنوير٨/١٤٥، وينظر: كشف المشكلات وإيضاح المعضلات١/٤٤٠، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في ا لقرآن:١٣٠

الثاني: الرحمة للنبي ﷺ والمؤمنين في الثواب والإحسان.

قاله الزمخشري[1].

الثالث: الرحمة للكفار في عدم تعجيل العذاب، وللنبي ﷺ والمؤمنين في الثواب والإحسان.

قاله ابن جرير[2]، ومكّي[3].

النتيجة:

وصف الرحمة بالواسعة يؤيد القول بأن المراد بها تأجيل العذاب، حيث لا تقتصر رحمة الله تعالى على المؤمنين والمحسنين فحسب، بل إن رحمته الواسعة وسعت كل شيء ح تى المجرمين فلم يستعجلهم بالعذاب، وهذا في ظاهره ترغيب، وفي باطنه تهديد، كقول القائل لمن عصى الله تعالى: ما أحلم الله عليك.

وقوله: ﴿ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ﴾ يرجح أن المراد بالرحمة تأجيل العذاب، فجمع لهم بين الترغيب والترهيب والوعظ والتذكير، وهذا هو منهج القرآن الكريم، والله تعالى أعلم.

---

(١) الكشاف٢/٧٣

(٢) جامع البيان٩/٦٤٨

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية٣/٢٢٣٣

سورة الأعراف

(١١١) قوله تعالى :﴿ الْمُزَّمِّلُ الْمُدَّثِّرُ الْقِيَامَةِ الْإِنسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْإِنفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْإِنشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ التَّكَاثُرِ الْعَصْرِ ﴾ الأعراف: ٢٢

﴿ الْإِنفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْإِنشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى ﴾ قال ثعلب: جعلا يلصقان بعض الورق بالبعض، ويستران العورة به، ويقال: خصف النعل، إذا جعل طبقا على طبق[١] .

الدِّراسة:

(خصف) في اللغة: الخاء والصاد والفاء أصل واحد يدل على اجتماع شيء إلى شيء [٢] .

قال ابن منظور: خصف النعل يخصفها خصفاً: ظاهر بعضها على بعض وخرزها، وهي نعل خصيف، وكل ما طورق بعضه على بعض، فقد خصف.

ثم قال : وفي التنزيل العزيز : ﴿ الْإِنفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْإِنشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى ﴾ يقول: يلزقان بعضه على بعض ليسترا به عورتهما أي يطابقان بعض الورق على بعض[٣] .

والمفسِّرون في تفسير هذه المسألة على ما جاء عن أهل اللغة، والله تعالى أعلم.

قال ابن جرير: أقبلا وجعلا يشدان عليهما من ورق الجنَّة، ليواريا سوءاتهما[٤] .

قال الزَّجاج: ومعنى (يخصفان): يجعلان ورقة على ورقة، ومنه قيل للخصَّاف الذي يرقع النعل: هو يخصف[٥] .

---

(١) تفسير القرآن، للسمعاني٢/١٧٢

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، مادة(خ ص ف)

(٣) لسان العرب، مادة(خ ص ف)، وينظر: تهذيب اللغة، ومختار الصحاح، مادة(خ ص ف)

(٤) جامع البيان١٠/١١٠-١١١، ينظر أقوال المفسِّرين في تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٥/١٤٥٢-١٤٥٣، والوسيط٢/٣٥٧، والبحر المحيط٤/٢٨٠

(٥) معاني القرآن٢/٣٢٧

(١١٢) قوله تعالى : ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ ﴾ الأعراف: ٣٣

وأما البغي قيل: هو الاستطالة على النَّاس، وقيل: هو الفساد، وقال ثعلب: هو أن يقع في النَّاس بغير الحق[١] .

الدِّراسة:

جاء في الآية عن المفسِّرين في المراد بـــ(البغي) خمسة أقوال:

الأول: الاستطالة على النَّاس والتعدي عليهم سواء بالأقوال أو الأعمال.

وهو قول الجمهور[٢] .

الثاني: الفساد[٣] .

الثالث: الظلم.

قاله النَّحاس[٤] ، والبغوي[٥] ، والزمخشري[٦] ، والقرطبي[٧] .

الرابع: الكبر.

قاله البغوي[٨] ، والزمخشري[٩] .

---

(١) تفسير القرآن، للسمعاني٢/١٧٨، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/٢١١، والبحر المحيط٤/٢٩٥

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/١٦٣-١٦٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٤٧١، والهداية إلى بلوغ النهاية٤/٢٣٤٧، والوسيط٢/٣٦٤، والمحرر الوجيز٢/٣٩٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير٣/٤٠٩

(٣) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني٢/١٧٨

(٤) إعراب القرآن٢/١٢٤

(٥) معالم التنزيل٣/٢٢٦

(٦) الكشاف٢/٩٧

(٧) الجامع لأحكام القرآن ٩/٢١١

(٨) معالم التنزيل٣/٢٢٦

(٩) الكشاف٢/٩٧

الخامس: السُّكر.

روي عن الحسن[1] .

النتيجة:

البغي في اللغة: التعدي، وبغى عليه: استطال، وبابه رمى، وكل مجاوزة وإفراط على المقدار الذي هو حد الشيء فهو بغي[2] .

والراجح أن المراد هو الاستطالة والتعدي على النَّاس بغير الحق.

ولا تعارض بين هذا القول والأقوال الأخرى فالبغي والتعدي على النَّاس بغير الحق هو فساد وظلم وكبر.

وأما القول بالسُّكر ففيه بعد، لأنه تخصيص بلا دليل، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: النكت والعيون٢/٢٢٠، والبحر المحيط٤/٢٩٢

(٢) ينظر: مختار الصحاح، ولسان العرب، مادة(ب غ ي، ب غ ا)

(١١٣) قوله تعالى :﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ ﴾ الأعراف: ٤٠

يروى عن ابن عبَّاس أنه قرأ:(حتى يلج الجُمَّل) بضم الجيم وتشديد الميم وقال : هو القَلْس[١] من حبال السفن. وقال أحمد بن يحيى: هي الحبال المجموعة،جمع جُملة[٢] .

الدِّراسة:

قول الإمام ثعلب -رحمه الله- هو في توجيه قراءة ابن عبَّاس رضي الله عنهما.

وهي قراءة عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشَّعبي [٣].

قال ابن جني[٤] في توجيه هذه القراءة: الحبل الغليظ من القُنَّب، ويقال: حبل السفِّينة، ويقال: الحبال المجموعة، وكله قريب بعضه من بعض[٥] .

وأما قراءة الجمهور (الجَمَل) بفتح الجيم والميم، وهو الجَمَل المعروف فحل الناقة[٦] .

---

(١) القَلْس حبل غليظ من حبال السفن، ينظر: الصحاح، ولسان العرب، مادة(ق ل س).

(٢) معاني القرآن، للنحاس٣/٣٥، وينظر: الجامع لأحكام القرآن ٩/٢٢٠

(٣) ينظر: مختصر الشواذ:٤٣، والمحتسب١/٢٤٩، وإعراب القراءات الشواذ١/٥٣٩، ومعاني القرآن، للفراء١/٣٧٩، وجامع البيان، للطبري١٠/١٨٨-١٩٤، ومعاني القرآن، للزجاج ٢/٣٣٨، والهداية إلى بلوغ النهاية ٤/٢٣٦٧، والمحرر الوجيز٢/٤٠٠

(٤) عثمان بن جني أبو الفتح الأزدي مولاهم، الموصلي اللغوي، توفي سنة ٣٩٢هـ، وينظر: إنباه الرواه٢/٣٣٥، وسير أعلام النبلاء١٧/١٧.

(٥) المحتسب١/٢٤٩، ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/١٩١-١٩٤

(٦) ينظر: إعراب القراءات الشواذ ١/٥٣٩، والتبيان في إعراب القرآن ١/٥٦٨، وجامع البيان، للطبري١٠/١٨٨-١٩٠، والبحر المحيط٤/٢٩٧

قال ابن جرير: والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار وهو ﴿إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ﴾الأعراف: ٤٠ بفتح الجيم والميم من الجمل وتخفيفها، وفتح السين من (السمّ) لأنها القراءة المستفيضة في قراء الأمصار، وغير جائز مخالفة ما جاءت به الحجة متفقة عليه من القراء[1].

(١١٤) قوله تعالى :﴿الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ﴾الأعراف: ٥٧

وأخبرني المنذري عن أبي العبَّاس أنه قال: من قرأ (نَشْراً) فمعناه ليّنة طيبة[2].

الدِّراسة:

قول الإمام ثعلب -رحمه الله- في بيان معنى قراءة جمهور القراء على معنى الرَّشْر.

قال ابن جرير: والرَّشْر بفتح النون وسكون الشين في كلام العرب من الرياح الطيبة اللينة الهبوب التي تنشئ السحاب، وكذلك كل ريح طيبة عندهم فهي نَشْر، ومنه قول امرئ القيس[3]:

كأن المُدَامَ وصَوبَ الغَمَامِ وَرِيحَ الخُزَامَى ونَشْرَ القُطُرِ[4] [5]

القراءات المتواترة في: ﴿الْحَشْرِ﴾ مع توجيهها:

-قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو (نُشُراً) بضم النون والشين، جمع نشور بمعنى ناشر، أي: الرياح ناشرة للأرض، محيية لها إذ تأتي بالمطر، أو بمعنى منشور، كأن الله أحيا الريح لتأتي بين يدي رحمته، فهي ريح منشورة أي: محياة.

---

(١) جامع البيان١٠/١٩٤

(٢) القراءات وعلل النحويين فيها١/٢٢٠

(٣) ديوانه:١٥٧

(٤) المدام: الخمر، صوب الغمام: الذي يمزج مع الخمر، الخزامي: نوع من الشَّجر البري له راحة طيبة، نشر القُطُر: رائحة العود. ينظر: لسان العرب، مادة(ق ط ر).

(٥) جامع البيان١٠/٢٥٢، ينظر: معجم مقاييس اللغة، مختار الصحاح، لسان العرب، مادة(ن ش ر)

-وقرأ ابن عامر(نُشْراً) بضم النون وسكون الشين، والتوجيه لهذه القراءة مثل سابقتها، وإسكان الشين، للتخفيف.

-وقرأ حمزة والكسائي (نَشْراً) بفتح النون وسكون الشين، فيكون مصدراً، والمعنى: وهو الذي نشر الرياح نشراً، كما يجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال من الرياح، والتقدير: يرسل الرياح محيية للأرض، ويجوز أن يكون المصدر يراد به المفعول، والمعنى: يرسل الرياح منشرة، أي: محياة.

-وقرأ عاصم(بُشْراً) بضم الباء وسكون الشين، جمع بشير، إذ الرياح تبشر بالمطر، ودليل هذه القراءة قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ الروم: ٤٦[1] .

النتيجة:

المعاني المذكورة في توجيه كل قراءة صحيحة ومحتملة وجائزة، والقراءة إذا ثبتت لا يجوز ردها أو رد معناها، وهي بمنزلة آية مستقلة[2] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكر بعض القراءات المتواترة: فهذه القراءات التي يتغاير فيها المعنى كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً، لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض[3] .

---

(١) ينظر: السَّبعة:٢١٤، جامع البيان، للداني ١٠٩٢/٣، والقراءات وعلل النحويين فيها ٢٢٠/١، والحجة في القراءات السبع:٨٥-٨٦، والكشف عن وجوه القراءات السبع ٤٦٥/١-٤٦٦، والبحر المحيط ٣١٦/٤، والدر المصون٣٤٦/٥-٣٤٩

(٢) والرياح بالجمع في القرآن تكون ريح رحمة وخير وغيث مثل هذه الآية، وأما بالإفراد تكون ريح هلاك وعذاب في الغالب مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ آل عمران: ١١٧ ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ ﴾ الحاقة: ٦ ، ومن الأمثلة المخالفة لهذه القاعدة: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ﴾ يونس: ٢٢.

(٣) مجموع الفتاوي٣٩١/١٣

(١١٥) قوله تعالى :﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ الأعراف: ٦٩

وقال أبو العبَّاس: ﴿اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ ﴾.

قال: جسماً على جسم، وكل زيادة في شيء بسطة [١] .

الدِّراسة:

جاء في المراد بالبسط في الجسم لقوم عاد قولان:

الأول: طول وعظمة الجسم.

عن السُّدِّي[٢] ، وقاله مكِّي[٣] ، والواحدي[٤] ، وابن عطية[٥] ، والقرطبي[٦] ،وابن كثير [٧] ، والشَّوكاني[٨] .

الثاني: قوة البدن.

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وابن زيد، والسُّدِّي[١] .

---

(١) مجالس ثعلب٢/٢٦٠

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٥١٠

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية٤/٢٤٢١

(٤) الوسيط٢/٢٨٢

(٥) المحرر الوجيز٢/٤١٧

(٦) الجامع لأحكام القرآن٩/٢٦٤

(٧) تفسير القرآن العظيم٣/٤٣٤

(٨) فتح القدير٢/٢١٨

الثالث: طولاً وقوة في الجسم.

قاله ابن جرير[٢]، والبغوي[٣]، وابن الجوزي[٤].

النتيجة:

البسطة في اللغة: السعة والزيادة في أمر من الأمور، والبصطة بالصاد لغة في البسطة [٥].

واللفظ إذا احتمل معاني عدة و لم يمتنع إرادة الجميع حمل عليها.

وقوم عاد عرف عنهم قوتهم وشدة بطشهم، قال تعالى عنهم :﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ الشعراء : ١٢٩ - ١٣٠﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾فصلت: ١٥

كما روي في وصف أجسامهم الشيء العظيم في الطول والعرض[٦].

فاللفظ يحتمل القوة والطول في الجسم، وقوم عاد عرف عنهم ذلك، فلا مانع من حمل معنى الآية على الجميع.

قال ابن جرير: زادكم في أجسامكم طولاً وعظماً على أجسام قوم نوح، وفي قواكم على قواهم، نعمة منه بذلك عليكم[٧].

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٢٦٧، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٥١٠

(٢) جامع البيان، للطبري١٠/٢٦٦

(٣) معالم التنزيل٣/٢٤٣

(٤) زاد المسير٣/٢٢٢

(٥) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، مادةب س ط)

(٦) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية٤/٢٤٢٢، والمحرر الوجيز٢/٤١٧، والبحر المحيط٤/٣٢٨، والدر المنثور٣/٤٨٦

(٧) جامع البيان، للطبري١٠/٢٦٦

(١١٦) قوله تعالى :﴿ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ ﴾

الأعراف: ٧٨

جثم: قال أبو العبَّاس في قول الله جلَّ وعزَّ :﴿ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ ﴾: أصابهم البلاءُ فبركوا فيها[١] .

الدِّراسة:

الأقوال في معنى:﴿ الْمُؤْمِنُونَ ﴾:

الأول: ساقطين في الأرض على ركبهم ووجوههم.

قاله النَّحاس[٢]، والأزهري[٣]، ومكِّي[٤] ، والقرطبي[٥].

الثاني: لازمين أرضهم ملتصقة أجسادهم بها لا يتحركون ميتين ، ومنه أطلق على جسم الإنسان بعد موته (جثمان) لعدم حركته والتصاقه بالأرض.

روي عن قتادة[٦] ، وابن زيد[٧] ، وقاله الفراء[١]، وأبو عبيدة[٢]، واليزيدي[٣]، وابن جرير [٤]، جرير[٤]، والزَّجاج[٥] ، والبغوي[٦]، الزمخشري [٧]، وابن عطية [٨]، وابن منظور [٩]،

. . . . . .

(١) تهذيب اللغة١١/٢٢

(٢) معاني القرآن٣/٤٩

(٣) تهذيب اللغة، مادة(ج ث م)

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية٤/٢٤٣٥

(٥) الجامع لأحكام القرآن٩/٢٧٢

(٦) ينظر: الدر المنثور٣/١٨٤

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٣٠٣، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٥١٦

والألوسي[١٠] ، وابن عاشور[١١] .

النتيجة:

في اللغة:جثم يجثم جثوماً، أي: لزم مكاناً لا يبرح[١٢].

وقال ابن جرير: والعرب تقول للبارك على الركبة، جاثم[١٣].

وقال الأزهري: والجاثمُ : البارِكُ على رِجْلَيه، كما يَجْثِمُ الطَّير[١٤] .

وأما جثى: فهو من جثى يجثو جُثواً وجِثياً فهو جاثٍ، أي: على ركبيته[١٥].

من كلام ابن جرير والأزهري أن الجثوم يشمل السُّقوط على الركب والوجه كما يشمل لزوم المكان وعدم الحراك، وإذا قيل بهذا فلا فرق بين (جثم)،(وجثا) في المعنى فكلاهما بمعنى واحد.

والحق والله تعالى أعلم أن معنى الجثوم في الآية قاصر على وصف حال جسدهم بعد الصيحة بلزوم الأرض وعدم الحراك، مثل ما يطلق لفظ (جثمان)على جسم الإنسان بعد موته، وهذا الأشهر في إطلاق لفظ (جثم) في اللغة، بخلاف (جثى)، ثم إن القول الذي يؤيده تصريف

---

(١) معاني القرآن١/٣٨٤

(٢) مجاز القرآن١/٢١٨

(٣) غريب القرآن:١٤٧

(٤) جامع البيان١٠/٣٠٣

(٥) معاني القرآن٢/٣٥١

(٦) معالم التنزيل٣/٢٤٨

(٧) الكشاف٢/١١٩

(٨) المحرر الوجيز٢/٤٢٤

(٩) لسان العرب، مادة(ج ث م)

(١٠) روح المعاني٤/٤٠٣

(١١) التحرير والتنوير٨/٢٢٧

(١٢) ينظر: العين، وتهذيب اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة(ج ث م)

(١٣) جامع البيان١٠/٣٠٣

(١٤) تهذيب اللغة، مادة(ج ث م)

(١٥) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة(ج ث ا، ج ث ى)

الكلمة وأصل اشتقاقها أولى، وهو القول الذي استفاض عن أهل العلم، كما ذكر في القول الثاني، والله تعالى أعلم.

(١١٧) قوله تعالى : ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى : ﴾ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ

ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ

ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿

﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آل عِمۡرَان النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنۡعَام

الأَعۡرَاف الأَنفَال التَّوۡبَة يُونُس هُود ﴾ الأعراف: ٨٨ – ٨٩

﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾

قال: الأنبياء ﷺ، كانوا بين قومهم يرون أنهم في مللهم، فنجاهم الله منها.

ومثله: ﴿ **مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ** ﴾ الشورى: ٥٢[(١)] .

الدِّراسة:

هذه المسألة تُعدُّ من مسائل مشكل القرآن، ووجه الإشكال فيها : أنه كيف يكون النَّبي على دين قومه وهم كفار، وهذا مما يخالف عصمة الأنبياء؟ حيث قال لهم : ﴿ ﴾ ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾

قول الإمام ثعلب –رحمه الله– يُعدُّ أحد الأجوبة على هذا المُشكل، وللعلماء في الإجابة عليه سبعة أقوال:

---

(١) مجالس ثعلب ٣٩٩/٢

الأول:أن الفعل (عاد) بمعنى (صار)، أي لتصيرن في ملتنا، فوقع العود على معنى الابتداء.

قال الزَّجاج: وجائز أن يقال: قد عاد عليَّ من فلان مكروه إن لم يكن سبقه مكروه قبل ذلك وإنما تأويله أنه قد لحقني منه مكروه[1] .

ومجيء (عاد) بمعنى: (صار)، جائز في كلام العرب ومن هذا قول الشاعر:

تلك المكارم لا قعبان [2] من لبنٍ شيباً بماءٍ فعادا بعدُ أبوالاً [3]

وجاء في القرآن بهذا المعنى قوله تعالى:﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴾ يس: ٣٩ .

وقد يشكل على هذا القول قوله تعالى :﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾ ، لكن أجيب عن ذلك أن معنى : ﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾: أي عَلمنا فساد وقبح ملتكم[4] ، أو أنه لا يلزم من التنجية أن تكون بعد الوقوع في المكروه[5] .

واختار هذا الجواب ابن عطية[6] ، وابن الأنباري[7] ، والقرطبي[8] ، وابن حجر[9] [10]، وجوزه الزَّجاج[11] ، البغوي[1] ، وابن الجوزي[2] ، وفخر الدين الرَّازي في مفاتيح الغيب

---

(١) معاني القرآن وإعرابه٢/٣٥٥

(٢) القُعْبَان واحده قَعْبُ بفتح القاف : وهو القدح الضخم الغليظ الجافي، وقيل : القدح من خشب مقعر، ينظر : الصحاح ، ولسان العرب، مادة (ق ع ب)

(٣) قائل هذا البيت هو أمية بن أبي الصلت، ينظر: طبقات فحول الشعراء ١/٥٨-٥٩، والأغاني ٣١٣/١٧

(٤) يظر: مفاتيح الغيب ١٤٥/١٤، ولباب التأويل٢/٢٢٨، وعناية القاضي ٣٢٢/٤، وروح المعاني ٢/٩

(٥) عناية القاضي ٣٢٢/٤، روح المعاني ٢/٩

(٦) المحرر الوجيز ١/٥– ٣

(٧) البيان في إعراب القرآن ٣٦٨/١

(٨) الجامع لأحكام القرآن ٢٤٠/٧

(٩) أحمد بن علي بن محمد الكناني العَسْقَلاني، أبو الفضل الحافظ والفقيه والمؤرخ ، توفي سنة ٨٥٢هـ، وينظر: البدر الطالع٨٧/١، والأعلام١٧٨/١.

(١٠) فتح الباري ٨٦/١

(١١) معاني القرآن ٣٥٥/٢

الغيب[٣] ، ومحمد بن أبي بكر الرَّازي صاحب أنموذج الجليل [٥] [٤] ، وابن جزِّي [٦] ، .....

وابن المُنيَرِّ[٧] في الانتصاف[٨] ، وأبو حيَّان[٩] ، وابن عاشور[١٠] ، وحَسَّنَه الألوسي[١١]

الثاني: أن الكلام في الآية من باب التغليب، فقد أراد الملأ الذين استكبروا من قومه بالعود إلى ملتهم الذين آمنوا مع شعيب فذكر شعيب معهم من باب التغليب، ويقال هذا لأنهم كانوا كفاراً فآمنوا فغلَّبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعاً إجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب كلامه.

قال بهذا الزمخشـــري [١٢] ، ومحمد بن أبي بكر الرَّازي في أنموذج الجليل[١٣] ، وابن كثيـــر[١٤] والألوسي[١٥] ، واختاره البيضاوي [١٦] ، وجوزه الزَّجاج[١٧] ، وابن الجوزي [١] ،

---

(١) معالم التنـــزيل ٢٥٨/٣، ومحاسن التأويل٦١٢/٣ – ٦١٣

(٢) زاد المسير ٢٣١/٣

(٣) مفاتيح الغيب ١٤٤/١٤

(٤)محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرَّازي، زين الدين، صاحب (مختار الصحاح) و(أنموذج الحليل)، توفي سنة ٦٦٦هـــ، وينظر: الأعلام ٥٥/٦.

(٥) أنموذج الجليل :١٥٣

(٦) التسهيل ٧١/٢

(٧) أحمد بن محمد بن منصور الجذامي الجروي الإسكندراني المالكي، توفي سنة ٦٨٣هـــ، وينظر: العبر٣٤٢/٥، وشذرات الذهب ٦٦٦/٧.

(٨) الانتصاف ٧٥/٢

(٩) البحر المحيط ٣٤٢/٤

(١٠) التحرير والتنوير ٦/٩

(١١) روح المعاني ٢/٩

(١٢) الكشاف ٧٦/٢

(١٣) أنموذج الجليل :١٥٣

(١٤) تفسير ابن كثير ٤٤٨/٣

(١٥) روح المعاني ٢/٩

(١٦) أنوار التنزيل ٢٤/٣

(١٧) معاني القرآن ٣٥٥/٢

والرَّازي[٢] ، وابن جزي[٣] ، والخازن[٤] ، وأبو حيَّان[٥] ، وابن عاشور[٦] .

الثالث: أن هذا القول من قومه على سبيل التلبيس على العامة والإيهام أنه كان على ملتهم، ولكن الحقيقة أنه ليس على ملتهم.

جوزه فخر الدين الرَّازي[٧] ، وأبو حيَّان[٨] ، والشهاب الخفاجي[٩] .

الرابع: أن شعيباً عليه السلام كان يخفي دينه عن قومه فقالوا مقولتهم هذه توهماً منهم أنه كان على دينهم.

جوز هذا الرَّازي[١٠] ، وأبو حيَّان[١١] ، والشهاب الخفاجي[١٢] ، وابن عاشور[١٣] .

الخامس: أن الجار والمجرور في قوله تعالى :﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ في موضع حال، فالعود المقابل للخروج هو إلى ما خرج منه وهي القرية، وتقدير الكلام : لِيكُن منكم الخروج من قريتنا، أو العود إليها كائنين في ملتنا.

جوز هذا الشهاب الخفاجي[١٤] ، واستبعده الألوسي[١٥] .

---

(١) زاد المسير ٢٣٠/٣

(٢) مفاتيح الغيب ١٤٤/١٤

(٣) التسهيل ٧١/٢

(٤) لباب التأويل ٢٢٨/٢

(٥): البحر المحيط ٣٤٢/٤

(٦) التحرير والتنوير ٦/٩

(٧) مفاتيح الغيب ١٤٤/١٤

(٨) البحر المحيط ٣٤٢/٤

(٩) عناية القاضي ٣٢٢/٤

(١٠) مفاتيح الغيب ١٤٤/١٤

(١١) البحر المحيط ٣٤٢/٤

(١٢) عناية القاضي ٣٢٢/٤

(١٣) التحرير والتنوير ٦/٩

(١٤) عناية القاضي ٣٢٢/٤

(١٥) روح المعاني ٣/٩

السادس: أن العود المقابل للخروج، هو العود إلى ترك دعوى الرسالة والإقرار بها، والجار والمجرور حال، أي ليكن منكم الخروج من قريتنا، أو العود إلى ترك دعوى الرسالة، والإقرار بها، داخلين في ملتنا. وبه فسَّر القاسمي الآية[1] .

السابع: رجحوا ظاهر الآية، وأنه لا يستبعد أن يكون شعيب عليه السلام كان على شريعة قومه، وهذا لا يخالف عصمة الأنبياء، فالعصمة لهم فيما يبلغون.

قال بهذا الجواب ابن تيمية[2] ،وجوزه الرَّازي[3] ، وبه فسَّر ابن جرير[4] .

قال ابن تيمية في تفسير الآية : ظاهره دليل على أن شعيباً والذين آمنوا م عه كانوا على ملة قومهم، لقولهم : ﴿العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ولقول شعيب: ﴿ الرَّحِيمِ ﴾﴿ ، اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ ﴾ ولقوله: ﴿ ﴾ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ ﴾ فدل على أنهم كانوا فيها، ولقوله: ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾ ، فدل على أن الله أنجاهم منها بعد التلوث بها، ولقوله : ﴿ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ ، ولا يجوز أن يكو ن الضمير عائداً على قومه، لأنه صرح فيه بقوله: ﴿ ﴾﴿ ﴾ ولأنه هو المحاور له بقوله : ﴿ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ ﴾ إلى آخرها، وهذا يجب أن يدخل فيه المتكلم ومثل هذا في سورة إبراهيم :﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ ﴾ إبراهيم: ١٣ [5] .

النتيجة:

(١) محاسن التأويل ٦١١/٣

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٠٩/١٠ – ٣١٠، ٢٩/١٥ – ٣١، ٨٨/٢٠ – ٨٩، ومنهاج السنة ٣٩٦/٢، ١٣٤/٧، ٢٨٣/٨ – ٢٨٤، الفتاوى الكبرى ٣٤٦/٣

(٣) مفاتيح الغيب١٤٤/١٤ عصمة الأنبياء، الرَّازي:٣ – ٤

(٤) جامع البيان ٥/٩

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية :٢٩/١٥

القول الراجح هو السابع، وأما القول أنه يخالف عصمة الأنبياء فيجاب على ذلك بما قال ابن تيمية –رحمه الله– تعالى: التحقيق: أن الله سبحانه إنما يصطفي للرسالة من كان خيار قومه حتى في النسب، كما في حديث هرقل[1] .

ومن نشأ بين قوم مشركين جهال، لم يكن عليه نقص إذا كان على مثل دينهم، إذا كان معروفاً بالصدق والأمانة، وفعل ما يعرفون وجوبه، وترك ما يعرفون قبحه.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الإسراء: ١٥ فلم يكن هؤلاء مستوجبين العذاب، وليس في هذا مايُنَفِّر عن القبول منهم، ولهذا لم يذكره أحد من المشركين قادحاً. وقد اتفقوا على جواز بعثة رسول لا يعرف ما جاءت به الرسل قبله من النبوة والشرائع، وأن من لم يقر بذلك بعد الرسالة فهو كافر، والرسل قبل الوحي لا تعلمه فضلا عن أن تقوم به[2] .

ثم إنه إذا عُمل بظاهر النص مع أمن الإشكال وزوال الإيهام، كان ذلك مقدماً على تأويل النص، والتكلف فيه، من أجل ما لم تقم به الحجة.

وقال ابن تيمية أيضاً : وأما السَّلف قاطبة من القرون الثلاثة الذين هم خير قرون الأمة، وأهل الحديث والتفسير، وأهل كتب قصص الأنبياء والمبتدأ، وجمهور الفقهاء والصوفية[3] ، وكثير من أهل الكلام[4] كجمهور الأشعرية[5] وغيرهم، وعموم المؤمنين، فعلى

---

(١) حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما الطويل عندما أخبره أبو سفيان رضي الله عنه بقصة هرقل وسؤاله عن صفات النَّبي ﷺ، في صحيح ا البخاري، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم (٧)، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، رقم (١٧٧٣)

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣٠/١٥

(٣) الصوفية: طوائف متعددة ذات أصول متقاربة، وقد مر التصوف بعددة مراحل ففي أوله كان زهداً وانقطاعاً للعبادة، ثم صار حركات ومظاهر جوفاء، وغلو في الأشخاص، ينظر هذه هي الصوفية :١٩، ١٧٤، والصوفية نشأتها وتطورها :١٣-٤٠.

(٤) أهل الكلام: هم من يكثر الجدل والخوض في المسائل العقدية، كالفلاسفة والمعتزلة والقدرية والمرجئة والشيعة والخوارج وغيرهم، ينظر: مباحث في علم الكلام : ٩-٢١، وموسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية لعبد المنعم الحفني: ٨٥-٨٧.

(٥) الأشاعرة: نسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري وهم من أقرب طوائف أهل الكلام إلى أهل السنة والجماعة، ويخالفونهم في خمسة عشرة مسألة أو أكثر، ونسبتهم إلى الإمام أبي الحسن الأشعري غير صحيحة فقد تاب ورجع عن ما كان يقول وألف كتاب الإبانة ومقالات الإسلاميين ، ينظر: منهاج السنة :٢٢١/٢، ومنهج الأشاعرة في العقيدة: ١٥-١٧، ٦٥-٨٣.

ما دل عليه الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾ طه: ١٢١ وقوله: ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ الأعراف: ٢٣ بعد أن قال لهما : ﴿ ٱلشَّمۡسِ ٱلَّيۡلِ ٱلضُّحَىٰ ٱلشَّرۡحِ ٱلتِّينِ ٱلۡعَلَقِ ٱلۡقَدۡرِ ٱلۡبَيِّنَةِ ٱلزَّلۡزَلَةِ ٱلۡعَٰدِيَٰتِ ٱلۡقَارِعَةِ ٱلتَّكَاثُرِ ﴾ الأعراف: ٢٢،، وقوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ البقرة: ٣٧ مع أنه عوقب بإخراجه من الجنَّة.

وهذه نصوص لا تُرد إلا بنوع من تحريف الكلم عن مواضعه، والمخطئ و النَّاسي إذا كانا مكلفين في تلك الشريعة فلا فرق، وإن لم يكونا مكلفين امتنعت العقوبة، ووصف العصيان والإخلو بظلم النفس وطلب المغفرة والرحمة، وقوله تعالى : ﴿ ٱلشَّمۡسِ ٱلَّيۡلِ ٱلضُّحَىٰ ٱلشَّرۡحِ ٱلتِّينِ ٱلۡعَلَقِ ٱلۡقَدۡرِ ٱلۡبَيِّنَةِ ٱلزَّلۡزَلَةِ ٱلۡعَٰدِيَٰتِ ٱلۡقَارِعَةِ ٱلتَّكَاثُرِ ﴾ وإنما ابتلى الله الأنبياء بالذنوب رفعاً لدرجاتهم بالتوبة، وتبليغاً لهم إلى محبته وفرحه بهم، فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، ويفرح بتوبة التائب أشد ف رح، فالمقصود كمال الغاية لا نقص البداية، فإن العبد تكون له الدرجة لا ينالها إلا بما قدر الله له من العمل والبلاء[1] .

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : ٨٩/٢٠ وينظر: ٣٠٩/١٠ – ٣١٠

(١١٨) قوله تعالى :﴿ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الِانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الِانشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ ﴾ الأعراف: ٩٥

﴿ الْأَنشَقِلِ ﴾.

كثروا[١].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى ﴿ الْأَنشَقِلِ ﴾ في الآية:

الأول: كثروا.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، و السُّدِّي، والضَّحاك، وابن زيد[٢]، وقاله أبو عبيدة[٣]، واليزيدي[٤]، وابن جرير[٥]، والزَّجاج[١]، والنَّحاس[٢]، ومكِّي [٣]، والواحدي [٤]، والبغوي[٥]، والزمخشري[٦]، والقرطبي[٧]، وأبوحيَّان[٨]، وابن كثير[٩]، والشَّوكاني[١٠].

---

(١) مجالس ثعلب ٥٨٢/٢

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري ٣٣٠/١٠-٣٣١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١٥٢٦/٥

(٣) مجاز القرآن ٢٢٢/١

(٤) غريب القرآن: ١٤٨

(٥) جامع البيان ٣٢٩/١٠

الثاني: سمنوا.

روي عن الحسن[١١].

الثالث: سُرُّوا.

روي عن قتادة[١٢].

الرابع: أعرضوا.

روي عن ابن بحر[١٣].

القول الخامس: أشروا وبطروا.

روي عن عكرمة[١٤].

السادس: عُفوا من ذلك العذاب.

روي عن ابن زيد[١٥].

النتيجة:

---

(١) معاني القرآن ٣٥٩/٢

(٢) معاني القرآن ٥٧/٣

(٣) تفسير المشكل من غريب القرآن:٨٦، والهداية إلى بلوغ النهاية٢٤٥٧/٤

(٤) الوسيط٣٨٩/٢

(٥) معالم التنزيل٢٥٩/٣

(٦) الكشاف١٢٧/٢

(٧) الجامع لأحكام القرآن٢٨٨/٩

(٨) البحر المحيط٣٤٧/٤

(٩) تفسير القرآن العظيم٤٥٠/٣

(١٠) فتح القدير٢٢٧/٢

(١١) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١٥٢٧/٥

(١٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٣٣١/١٠-٣٣٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ١٥٢٧/٥

(١٣) ينظر: النكت والعيون ٢٤٢/٢، والبحر المحيط ٣٤٧/٤

(١٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٥٢٧/٥

(١٥) ينظر: جامع البيان، للطبري٣٣٠/١٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٥٢٧/٥

جاء في اللغة عفا ماله وشعره ونباته، من العفو، بمعنى: كَثُر، وعفا عن فلان، من العفو، بمعنى: تجاوز وغفر، وعفا فلان في جسمه، من المعافاة، بمعنى: طاب جسمه واستصح وسمن[1].

وهذه الأوجه في اللغة تؤيد القول على معنى كثرتهم أو عفو الله عنهم فلم يعذبهم، أو أنهم سمنوا.

وأما القول بالسرور أو الإعراض أو البطر، فلا وجه لها في كلام العرب[2].

لكن قد تكون من لازم الأقوال السابقة، أي أنهم لما كثر مالهم وأولادهم وسمنوا وتأخر عنهم العذاب، سروا بذلك، وأعرضوا عن الدين، وتكبروا وبطروا وارتكبوا المعاصي.

والقول الراجح الأول، وهو ما استفاض عن جمهور المفسِّرين وأهل اللغة[3]، ويؤيده حديث ابن عمر رضي الله عنهما:(**أعفوا اللحى**)[4] ، وهو أن يوفر شعرها ولا يقص كالشوارب ، من عفا الشيء إذا كثر وزاد. يقال: أعفيته وعفيته[5].

والآية تحمل على المعنى الذي استفاض النقل فيه عن أهل العلم وإن كان غيره محتملاً.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(ع ف ا)

(٢) ينظر: المصدر السابق، وجامع البيان، للطبري١٠/٣٣٠

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(ع ف ا)

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب إعفاء اللحى ﴿ الاشتقاق ﴾ : كثروا وكثرت أموالهم، رقم(٥٥٥٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، رقم(٢٥٩)

(٥) النهاية في غريب الحديث، مادة(ع ف ا)

(١١٩) قوله تعالى: ﴿ٱلْعَظِيمَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ﴾ الأعراف: ١٠٧

قال أبو العبَّاس: قال شبهها في عظمها بالثُّعبان، وفي خفتها بالجان، ولذلك قال تعالى مرة: ﴿بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ﴾، ومرة: ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ النمل: ١٠، والقصص: ٣١[١].

الدِّراسة:

هذه المسألة من مسائل مشكل القرآن، وفي ظاهرها تعارض مع آية أخرى كما ذكر الإمام ثعلب -رحمه الله-، فقد وصف تعالى عصى موسى عليه السلام مرة بأنها ثعبان، وهي الحية الذكر العظيمة الكبيرة، ومرة وصفها بأنها جان، وهي الحية الصغيرة السريعة الخفيفة في حركتها[٢].

وقد ذكر الإمام ثعلب -رحمه الله- أحد الأجوبة لدفع موهم التعارض بينهما.

وهذه بعض الأجوبة على هذه المسألة:

الأول: وصفت بالثُّعبان لكبرها وضخامتها، وجان لسرعة حركتها وخفتها.

قاله الزَّجاج[٣]، والسَّمعاني[١]، والرَّازي[٢]، وابن كثير[٣]، وأبو حيَّان [٤]، والألوسي [٥]، والشنقيطي[٦].

---

(١) تهذيب اللغة ٢/٢٠١، ١٠/٢٦٦، وينظر: لسان العرب١٣/٩٨

(٢) ينظر: لسان العرب، وتاج العروس، مادة(ث ع ب)، (ج ن ن)

(٣) معاني القرآن٤/٨٨

الثاني: أنها كانت أولاً صغيرة كالجان، ثم عظمت وأصبحت كبيرة كالثُّعبان.

جوزه الرَّازي[٧].

الثالث: أنه شبهها بالشيطان، فهي متقلبة الأحوال مثله، فأخبر عنها بصفات مختلفة باعتبار تنقلها فيها، وقد قال تعالى: ﴿الشُّورَى الزُّخْرُف الدُّخَان الجَاثِيَة الأَحْقَاف مُحَمَّد الفَتْح الحُجُرَات﴾ الحجر: ٢٧

جوزه الرَّازي[٨].

الرابع: أن القصة غير واحدة، فلما كان عند لقاء ربه في الطور انقلبت حية صغيرة، وعند التحدي مع فرعون انقلبت حية عظيمة، ولذلك جاء وصفها بالثُّعبان مع لقاء فرعون، ووصفت بالجان عند لقاء الله تعالى[٩].

النتيجة:

أرجح الأقوال في الجمع بين الآيتين ودفع موهم التعارض، أنه شبهها بالثُّعبان في عظم خلقها، وبالجان في اهتزازها وسرعة وخفت حركتها، فهي جامعة بين العِظَم، وخفة الحركة، على خلاف العادة، وسخرت هذه الآية لموسى عليه السلام لإعجاز فرعون، والقول بهذا الجواب يتوافق مع كون هذه الآية معجزة لموسى عليه السلام.

وأما الأقوال الأخرى ففيها نوع من التكلف والبعد، كتشبيهها بالشيطان، أو تعدد القصص.

وأما القول بأنها كانت صغيرة ثم كبرت، فهذا يجعل الآية أقل درجة في الإعجاز، والقول الراجح هو ما عليه جمهور أهل العلم، والله تعالى أعلم.

---

(١) تفسير القرآن٤/٤٤

(٢) مفاتيح الغيب٢٤/١٣٢

(٣) قصص الأنبياء: ٢٨١

(٤) البحر المحيط٤/٥٧

(٥) روح المعاني١٠/١٥٩

(٦) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب: ١٠٢

(٧) مفاتيح الغيب٢٤/١٣٢

(٨) مفاتيح الغيب٢٤/١٣٢ ، ينظر: روح المعاني١٠/١٥٩

(٩) ينظر: روح المعاني٥/٢٠

(١٢٠)قوله تعالى :﴿ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ ﴾ الأعراف: ١١٦

﴿ الْوَاقِعَةِ ﴾ : حملوهم على الرَّهبة [١].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى ﴿ الْوَاقِعَةِ ﴾:

الأول: خوفوهم وأفزعوهم، وتكون استفعل فيه بمعنى أفعل، والسين والتاء للتأكيد، مثل : استكبر، واستعظم، واستقر.

وهذا قول أبي عبيدة[٢] ، وأبي حيَّان[٣] ، والألوسي[٤] .

الثاني: استدعوا رهبتهم حتى رهب النَّاس منهم، والسين على بابها.

قاله الزَّجاج[٥] ، والنَّحاس[١] ، والزمخشري[٢]، وابن عطية[٣] .

---

(١) مجالس ثعلب٢/٣٦٨

(٢) مجاز القرآن١/٢٢٥

(٣) البحر المحيط٤/٣٦٢

(٤) روح المعاني٥/٢٦

(٥) معاني القرآن٢/٣٦٦

وجوز الوجهين السَّمين الحلبي[٤] ، وابن عاشور[٥].

النتيجة:

الحقيقة أن الرَّهبة والخوف تحقق وقوعها منهم، وهذا ما يرجح أن استفعل فيه بمعنى أفعل، والسين والتاء للتأكيد، ويدل على ذلك قوله تعالى :﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾ طه : ٦٧.

قال أبو حيَّان بعد ما ذكر قول الزمخشري وابن عطية: ولا يظهر ما قالا ، لأن الاستدعاء والطلب لا يلزم منه وقوع المستدعى والمطلوب . والظاهر هنا: حصول الرَّهبة، فلذلك قلنا : إن (استفعل) فيه موافق (أفعل)[٦] .

(١) معاني القرآن٣/٦٣

(٢) والكشاف٢/١٣٦

(٣) المحرر الوجيز٢/٤٣٩

(٤) والدر المصون٥/٤١٦

(٥) والتحرير والتنوير٩/٤٨

(٦) البحر المحيط٤/٣٦٢

(١٢١) قوله تعالى :﴿ المَائِدَة الأَنْعَام الأَعْرَاف الأَنْفَال التَّوْبَة يُونُس هُود يُوسُف الرَّعْد إِبْرَاهِيم الحِجْر النَّحْل الإِسْرَاء الكَهْف مَرْيَم طٰهٰ الأَنْبِيَاء الحَجّ المُؤْمِنُون النُّور الفُرْقَان الشُّعَرَاء النَّمْل ﴾ الأعراف: ١٢٧

﴿ النَّحْل الإِسْرَاء الكَهْف ﴾

جمع إلهك. وإلاهتك: أي عبادتك. ومن قرأ (وإلاهتك) أنك تعبد ولا تعبد. ومن قرأ : (وآلهتك) أراد التي يعبدها[1].

الدِّراسة:

في قوله:﴿ الإِسْرَاء الكَهْف ﴾ قراءتان :

الأولى: قراءة الجمهور(وآلهتك) بفتح الهمزة، أي: أي يذرك يا فرعون ويذر الإله الذي تعبده، قيل: إنه كان يعبد البقر، وقيل: حجر، وقيل: الإضافة على معنى أنه شرع لهم عبادة آلهة من بقر أو أصنام أو غيرها وجعل نفسه الإله الأعلى، ولا يتعارض هذا المعنى مع قول الله تعالى على لسان فرعون :﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ النازعات: ٢٤، فكانوا يعبدون غيره ممن هو دونه عندهم بأمره.

(١) مجالس ثعلب١/١٨٠-١٨١

الثانية: قرأ علي، وابن عبَّاس، وابن مسعود، وأنس بن مالك ﷺ، والحسن، (وإلاهتك) بكسرالهمزة، على أنه مصدر مضاف إلى مفعوله أي: يذرك يافرعون ويذر عبادتك [1] ، أو مصدر أريد به المفعول، أي: يذرك ويذر المعبود الذي تعبده.

قال ابن سيده: وقد قرىء:(ويذرك وآلهتك)، وقرأ ابن عبَّاس (ويذرك و إلاهتك) بكسر الهمزة أي: وعبادتك، وهذه الأخيرة عند ثعلب كأنها هي المختارة، قال: لأن فرعون كان يُعبَد ولا يَعبدُ فهو على هذا ذو إلاهة لا ذو آلهة[2].

وروي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قوله: إنما كان فرعون يُعبَد ولا يَعبُد[3].

وقال الأزهري: قال الله جلّ وعزّ: ﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْأَسْرَارِ ٱلْكَهْفِ ﴾، وهي أصنامٌ عَبَدها قومُ فرعون معه .

ورُوِي عن ابن عبَّاس أنه قرأ: (ويذَرَك وإلَاهتَك) ويفُسَّره وعِبادَتك. واعتلّ بأنّ فرعون كان يُعبَد ولا يَعبُد والقراءة الأولى أكثر وأشهَر، وعليها قراءةُ الأمصار [4].

وقال ابن منظور: والقراءة الأولى أكثر والقراءة عليها.

قال ابن بري: يقوي ما ذهب إليه ابن عبَّاس في قراءته (ويذرك و إلاهتك) قول فرعون : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾النازعات: ٢٤، وقوله:﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾القصص: ٣٨ [5].

النتيجة:

(١) ينظر: مختصر الشواذ :٤٨، وإتحاف فضلاء البشر ١/٦٠، والمحتسب١/٢٥٦-٢٥٧، وجامع البيان، للطبري١٠/٣٦٦-٣٧٠، واله داية إلى بلوغ النهاية ٤/٢٤٩٧-٢٠٠٠، والمحرر الوجيز ٢/٤٤١، والبحر المحيط٤/٣٦٧، والدر المصون٥/٤٢٤

(٢) المحكم والمحيط الأعظم٤/٣٥٨، وينظر: لسان العرب١٣/٤٦٨

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٣٦٨

(٤) تهذيب اللغة٦/٢٢٤

(٥) لسان العرب١٣/٤٦٨

التوجيه الأول في القراء الثانية على معنى يترك فرعون وعبادته لا إشكال فيه، لكن المشكل هو في التوجيه الثاني للقراءة الثانية، والتوجيهين في القراءة الأولى حيث أثبتت آلهة مع فرعون، وهذا يتعارض مع قوله تعالى على لسان فرعون :﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ القصص: ٣٨ .

والجواب: الآلهة المنفية في قوله : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ﴾هي لغير فرعون، والآلهة المثبتة في قراءة الجمهور ﴿ ٱلنَّحْلَ ٱلْإِسْرَاءِ ٱلْكَهْفِ ﴾ الآلهة التي كان فرعون يعبدها لأنهم كانوا لا يعبدون إلا فرعون، لكن تركهم لفرعون يستلزم ترك الآلهة التي كان يعبد فرعون. أما القول أن فرعون كان يُعبد ولا يَعبد، فيجاب عليه: أنه روي خلافه عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، و السُّدِّي، والحسن أن فرعون كان له حجر أو بقر ونحو ذلك يعبده سراً [1]، وبذلك يندفع موهم التعارض ويزول الإشكال[2].

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري، ١/٣٦٦-٣٦٨

(٢) مفاتيح الغيب١٤/١ ٢٢٠

(١٢٢) قوله تعالى : ﴿ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلُ الْمُدَّثِّرُ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ ﴾ الأعراف: ١٣٠

﴿ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلُ الْمُدَّثِّرُ الْقِيَامَةِ ﴾.

أي : بالجدب [١].

الدِّراسة:

الأقوال في المراد بـــ(السنِّين):

الأول: الجدب والقحط.

قول جمهور المفسِّرين[٢].

الثاني: الجوع.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وقتادة[٣].

النتيجة:

---

(١) مجالس ثعلب١/٢٧٠

(٢) ينظر: معاني القرآن، للفراء ١/٣٩٢، ومجاز القرآن ١/٢٢٥، وغريب القرآن، لليزيدي :١٤٩، وجامع البيان، للطبري١٠/٣٧٤، وغريب القرآن، للسجستاني :٢٨٠، ومفردات ألفاظ القرآن :مادة(س ن ه) وتفسير المشكل من غريب القرآن:٨٦، والهداية إلى بلوغ النهاية٤/٢٥٠٤، والنكت والعيون٢/٢٥٠، وزاد المسير٣/٢٤٧

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٣٧٤-٣٧٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٥/١٥٤٢

سنين وسنون جمع: سنة، وهي الحول، وتأتي كناية عن سنة الجوع والجدب والقحط، مثل هذه الآية ومثل دعاء النَّبيﷺ:(**اللهم اجعلها عليهم سنين كسنين يوسف**)[1] ، وهذا على تقدير حذف مضاف، يقال: مستهم السنة أي: جدب سنة، أو تقدير حذف مضاف إليه، والتقدير: سنة جدب.

ومن كلام العرب: أسنت القوم إذا أجدبوا وأقحطوا فاشتقوا من السنة[2].

وأقوال المفسِّرين في الآية هو من التفسير بالمثال لهذه الكلمة، فلا تعارض بينها فكلها تمثيل لحال السنين الشديدة التي أصابتهم، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب يهوي بالتكبير حين يسجد ، رقم (٧٧١)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد، رقم(٦٧٥)، كلاهما من حديث أبي هريرة.

(٢) ينظر: معاني القرآن، للزجاج ٣٦٨/٢، معاني القرآن، للنحاس ٦٦/٣-٦٧، والمحرر الوجيز ٤٤٢/٢، ومفاتيح الغيب١٤/٢٢٣، والجامع لأحكام القرآن٩/٣٠٣-٣٠٤، والبحر المحيط٤/٣٦٩، وروح المعاني٥/٣١

(١٢٣) قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ ﴿ ﴾﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمۡرَٰنَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنۡعَامِ الأَعۡرَافِ الأَنفَالِ التَّوۡبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعۡدِ إِبۡرَاهِيمَ الحِجۡرِ ﴾ الأعراف: ١٤٦

وأخبرني المنذري عن أبي العبَّاس أنه قال: في قوله: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾ ﴾ مِن الكِبَرِ لا مِن الكِبْرِ أي يتفضلون ويرون أنهم أفضلُ من غيرهم[1].

الدِّراسة:

(الكِبَرِ) بكسر الكاف وفتح الباء، هو الكبار والعظمة في النفس حتى يرى صاحبه أنه أفضل النَّاس.

(الكِبْر) بكسر الكاف وسكون الباء، هو من التكبر والاستكبار عن قبول الحق[2].

وبناءاً على هذا كان قول الإمام ثعلب -رحمه الله- وأقوال العلماء في الآية، وهذا بيانها:

الأول: يحتقرون غيرهم، ويرون أنهم أفضل منهم.

قاله الزَّجاج[3]، والسَّمعاني[4]، والرَّازي[1].

---

(١) تهذيب اللغة١٠/١٢٠

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، وتاج العروس، مادة(ك ب ر)

(٣) معاني القرآن٢/٣٧٦

(٤) تفسير القرآن٢/٢١٥

الثاني: يتكبرون عن الإيمان وإتباع الرَّسول ﷺ.

قاله ابن جرير[٢].

الثالث: يحتقرون غيرهم، ويرون أنهم أفضل منهم، ويتكبرون عن الإيمان وإتباع الرَّسول ﷺ.

قاله الزَّجاس[٣]، ومكِّي[٤]، والقرطبي[٥]، . . . . . .

وابن عاشور[٦].

النتيجة:

التكبر بمعنى الاحتقار ورؤية الفضل على الغير محتمل في الآية وكذلك على معنى رد الحق، ولذلك جاء في تفسير النَّبي ﷺ للكبر في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:(**الكبر: بطر الحق، وغمط النَّاس)**[٧] أي: رد الحق، واحتقار النَّاس[٨]، فجمع بين المعنيين، وهذا ما قال به جمع من أهل العلم كما في القول الثالث، وهو المختار.

(١) مفاتيح الغيب١٥/٤

(٢) جامع البيان١٠/٤٤٤

(٣) معاني القرآن٣/٧٩

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية٤/٢٥٥٣-٢٥٥٤

(٥) الجامع لأحكام القرآن٩/٣٣١

(٦) التحرير والتنوير٩/١٠٤

(٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، رقم(٩١)

(٨) ينظر: مشارق الأنوار، والنهاية في غريب الحديث، مادة(ب ط ر، غ م ط)

(١٢٤) قوله تعالى :﴿ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْإِنْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْإِنْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ ﴾ الأعراف: ١٥٥ .

﴿ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ ﴾ أي: اختار من القوم. وهما منصوبان بوقوع الفعل . يعني: واختار موسى قومه سبعين. اخترتك الرجل. وأنشد:

محمداً واختاره الله الخير[١] [٢].

الدِّراسة:

في توجيه هذه المسألة ثلاثة أقوال:

الأول: معناه: واختار موسى من قومه سبعين رجلاً ، فلما نزع (مِنْ) أُعمل الفعل.كما قال الفرزدق [٣] [٤]:

---

(١) هو العجاج، ديوانه:٧، صدر البيت: تحت الذي اختار له الله الشَّجر

(٢) مجالس ثعلب٢/٥٨٨

(٣) همام بن غالب بن صعصعة بن ناجبة، أبو فراس التميمي البصري، شاعر أموي، توفي سنة ١١٠هـ، وينظر: الشعر والشعراء:٣٨١، وسير أعلام النبلاء٤/٥٩٠.

(٤) ديوانه:٥١٦

ومنا الذي اختير الرجال سماحة وجوداً إذا هب الرياح الزعازع

بمعنى: اختير من الرجال.

قاله الزَّجاج[1].

الثاني: قالوا: إنما استجيز وقوع الفعل عليهم إذا طرحت (من) لأنه مأخوذ من قولك هؤلاء خير القوم وخير من القوم، فإذا جازت الإضافة مكان (من) ولم يتغير المعنى استجازوا أن يقولوا: اخترتكم رجلاً، واخترت منكم رجلاً، وقال الراجز:

تحت الذي اختار له الله الشَّجر[2]

بمعنى: اختارها له الله من الشَّجر.

قاله الفراء[3].

قال ابن جرير: وهذا القول الثاني أولى عندي في ذلك بالصواب لدلالة الاختيار على طلب (من) التي بمعنى التبعيض ومن شأن العرب أن تحذف الشيء من حشو الكلام إذا عرف موضعه وكان فيما أظهرت دلالة على ما حذفت فهذا من ذلك إن شاء الله[4].

الثالث: أن يكون التقدير: واختار موسى قومه لميقاتنا، وأراد بقومه المعتبرين منهم إطلاقاً لاسم الجنس على ما هو المقصود منهم وقوله: ﴿ٱلرَّجۡفَةُ﴾ عطف بيان.

قاله الرَّازي[5].

النتيجة:

يحمل كلام الله تعالى على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر، وما ذكر من أقوال في هذه المسألة يُعُدُّ من المعروف في كلام العرب ولا إشكال في حمل الآية عليه لانتفاء وجود التعارض بينها، ويُعدُّ هذا من صور إعجاز القرآن البياني، والله تعالى أعلم.

---

(١) معاني القرآن٢/٣٨٠، وينظر: الكشاف٢/١٥٨، والبحر المحيط٤/٣٩٨، والدر المصون٥/٤٧٥

(٢) هو العجاج، ديوانه:٧، وعجز البيت: محمداً واختاره الله الخير

(٣) معاني القرآن١/٣٩٥، وينظر: مجاز القرآن١/٢٢٩، والمحرر الوجيز٢/٤٥٩

(٤) جامع البيان١٠/٤٧٤

(٥) مفاتيح الغيب١٥/١٩

(١٢٥) قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالى: ﴿ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ

ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ

ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ ﴾ الأعراف: ١٥٦

قول الله تبارك وتعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ أي: تبنا إليك[1].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: تبنا إليك.

وهذا قول جمهور المفسِّرين[2].

الثاني: ملنا إليك.

قاله السَّمين الحلبي[3].

النتيجة:

---

(١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، لثعلب:٢٣٥

(٢) ينظر: مجاز القرآن ٢٢٩/١، وغريب القرآن، لليزيدي:١٥١، وجامع البيان، للطبري ٤٧٩/١٠-٤٨٢، ومعاني القرآن، للزجاج ٣٨٠/٢ وتفسير القرآن العظيم ١٥٧٧/٥، الهداية إلى بلوغ النهاية ٢٥٨٣/٤، ومعالم التنزيل٢٨٧/٣، والمحرر الوجيز٤٦١/٢، والبحر المحيط٤٠١/٤، والدر المصون٤٧٦/٥

(٣) الدر المصون٤٧٦/٥، وينظر: ، مفاتيح الغيب٢٣/١٥، والبحر المحيط٤٠١/١٠، وروح المعاني٧٢/٥

القول الراجح الأول لأن تفسير جمهور السَّلف مقدم على كل تفسير شاذ، والله تعالى أعلم.

(١٢٦) قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ﴾ الأعراف: ١٧١

وقال أبو العبَّاس في قوله تعالى: ﴿اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ﴾ يقال: انتق جرابك أي: ألق ما فيه. ونتقت المرأة ولدها: إذا رمت بهم [١].

الدِّراسة:

النتق في اللغة: الرمي، والقلع، والرفع، والجذب، والزعزعة، والهز، والنفض.

فالنتق في معناه يدور حول الهز والزعزعة ثم القلع والجذب ثم الرفع استعداداً للرمي، فأي هذه الأفعال كان فهو يطلق عليه نتق[٢].

وأقوال المفسِّرين في معنى الآية حول هذه المعاني[٣].

وأما (فوقهم) فيه وجهان:

---

(١) مجالس ثعلب٢/٣٧٠

(٢) ينظر: تهذيب اللغة، ومعجم مقاييس اللغة، ولسان العرب، مادة(ن ت ق)

(٣) ينظر: معاني القرآن، للفراء ٣٩٩/١، مجاز القرآن ٢٣٢/١غريب القرآن، لليزيدي :١٥٢، جامع البيان، للطبري٥٤٢/١٠-٥٤٥، معاني القرآن، للنحاس ١٠٠/٣-١٠١، ومفردات ألفاظ القرآن، مادة(ن ت ق)، وغريب القرآن، للسجستاني، مادة(ن ت ق)

الأول: أنه حال مقدرة من (الجبل) والعامل فيها محذوف، والتقدير: قلعنا الجبل بشدة كائناً فوقهم.

الثاني: أنه ظرف لـــ(نتقنا) ولا يمكن ذلك إلا إذا ضمن (نتقنا) معنى فعل يمكن أن يعمل في فوقهم، أي: رفعنا بالنتق الجبل فوقهم، فيكون كقوله تعالى: ﴿ٱلتَّجَّنِيرِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ﴾ النساء: ١٥٤[1].

(١٢٧، ١٢٨) قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾﴾ الأعراف: ١٧٢

في الآية مسألتان:

المسألة الأولى: قالَ ثَعْلَبٌ: أَخْرَجَ الذُّرِّيَّةَ كَهَيْئَةِ الذَّرِّ ثم أَشْهَدَهُم عَلَى أَنْفُسِهِم ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ﴾ أي: شهِدُوا بذلِكَ[2].

قال: يشهدون أنفسهم أنه ربهم، لا يدرى كيف تكلم، كمخاطبته أيضاً للسموات والأرض وغيرهما[3].

الدِّراسة:

اختلف العلماء في كيفية هذا الإخراج والمراد بالميثاق في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:

الأول: أن الميثاق الذي قد أخذه الله تعالى من آدم عليه السّلام وبني ه عندما استخرجهم من ظهره كالذَّر ونثرهم بين يديه، فاستخرج بنيه من ظهره ثم استخرج أبناءهم من أصلابهم هكذا على ما يتناسلون ثم أشهدهم على الميثاق واستنطقهم وأقرّوا به بلسان الحال و المقال،

(١) ينظر: إملاء ما من به الرحمن١/٢٨٨، والبحر المحيط٤/٤١٩، والدر المصون٥/٥٠٩-٥١٠

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ١٠/٤٥

(٣) مجالس ثعلب٢/٤٧٥

وذكر الإخراج من الفرع وهم بني آدم يدل على الأصل وهو آدم، فالأصل والفرع واحد، وقوله تعالى: ﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾ دليل على الحقيقة والكلام، دون المجاز. قاله جمهور العلماء[1].

الثاني: أنّ المراد بأخذ الذّرّيّة من ظهور بني آدم هو توالدهم في الدّنيا وإخراجهم من بطون أمهاتهم قرنًا بعد قرن ونسلاً بعد نسل هكذا، ثم أخذ الميثاق عليهم والمراد به الفطرة التي فطروا عليها عند ولادتهم وهي الدّين، وأمّا كيف كان استنطاقهم وإشهادهم فهذا كلّه من باب التّمثيل.

قاله ابن تيمية[2]، وابن القيِّم[3]، وابن كثير[4]، وابن أبي العز الحنفي[5] [6] ، وأبو السعود [7]، والقاسمي[8]، وابن سعدي [9] [10] .

---

(١) من الصحابة والتابعين والمفسِّرين وأهل الحديث، ينظر : مختلف الحديث، لا بن قتيبة :٩٧، وجامع البيان، للطبري١٠/٥٤٦-٥٦٣، ومعاني القرآن، للزجاج ٢/٣٩٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٥/١٦١٢-١٦١٥، وشرح مشكل الآثار، للطحاوي ١٠/٣، وعارضة الأحوذي، لابن العربي، ١١/ ١٩٦، ومعالم التنزيل ٣/٢٩٩، وضح البرهان ١/٣٧٠، وزاد المسير ٣/٢٨٦، والتسهيل، لابن جزي ٢/٩٧، ولباب التأويل، للخازن ٢/٢٦٨، والطيبـــي في شرحه على المشكاة ٢/٥٨٤، والدر المنثور٣/٢٥٩-٢٦٥، ومرقاة المفاتيح، لملا علي قارئ١/٣٣٠،وفتح القدير ٢/٢٦٣، ورح المعاني ٩/١٠٤، وكتاب (أخذ الميثاق)، للشيخ/عبد العزيز العثيم : ٥٣، وكتاب (العهد والميثاق في القرآن الكريم)، للدكتور/ ناصر العمر: ٧٥، ورسالتي في مرحلة الماجستير، موهم التعارض بين القرآن والسنة:١٤٥-١٦٤، فقد فصلت البحث فيها.

(٢) درء تعارض العقل والنقل ٨/٤٨٢-٤٨٤

(٣) بدائع التفسير ٢/٢٧٥

(٤) تفسير القرآن العظيم ٣/٥٠٦

(٥) علي بن محمد بن محمد بن أبي العز الحنفي الصالحي الدمشقي ،توفي سنة ٧٩٢هـــ ، وينظر : الدرر الكامنة٣/١١٨، وشذرات الذهب٨/٥٥٧.

(٦) شرح العقيدة الطحاوية ٣٠٧

(٧) إرشاد العقل السليم ٣/٢٩٠

(٨) محاسن التأويل ٧/٦٦٣

(٩) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر السَّعدي، صاحب التفسير، والمؤلفات العديدة، من علماء القصيم، توفي سنة ١٣٧٦هـــ، وينظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون ٣/٢١٨، وروضة الناظرين عن مآثر علماء نجد ١/٢٢٠، وعلماء آل سليم وتلامذتهم وعلماء القصيم ٢/٢٩٥.

(١٠) تيسيرالكريم الرحمن ٣/٥٩١

الثالث: أنّ المراد بأخذ الذّرّيّة من ظهور بني آدم هو توالدهم في الدّنيا وإخراجهم من بطون أمهاتهم قرنًا بعد قرن ونسلاً بعد نسل هكذا، والمراد بالميثاق والإشهاد هو بلوغ المكلّف سنّ التّكليف وإيمانه بما نصب له من آيات في نفسه وفي الكون من حوله تدلّ على وحدانيّة الله تعالى وربوبيّته.

قاله الزمخشري[1]، والقُرْبشتي[2] [3]، والرّازي[4]، . . . . . .

والبيضاوي[5]، وأبو حيّان[6]، والنّسفي[7] [8]، وجعلوا الإشهاد من باب التمثيل، بخلاف الزمخشري جعله من باب التخييل.

النتيجة:

اتجهت الأقوال في المسألة إلى اتجاهين، اتجاه جعل الإخراج من ظهر الآباء كما هو في الدنيا، والإشهاد حُمِل على المجاز لا على الحقيقة، والآخر جعل الإخراج من ظهر آدم خلاف ظاهر الآية والإشهاد على الحقيقة، والسنة وآثار السَّلف تفسِّر ذلك.

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما مرفوعاً وموقوفاً:(**أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان – يعني عرفة– فأخرج من صُلبه كلّ ذرّيّة ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذَّر ، ثم كلَّمهم قبلاً، قال:** ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ ﴾)

الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣[9].

---

(١) الكشاف٢/١٠٣

(٢) فضل الله بن حسن بن حسين التُّوربشتي الشافعي، أبو عبد الله الفقيه الحنفي، توفي سنة ٦٦١هـ، وينظر: هداية العارفين١/٨٢١ ، والأعلام٥/١٥٢.

(٣) الميسر في شرح مصابيح السنة ١/٦٠

(٤) مفاتيح الغيب١٥/٤٣

(٥) أنوار التنزيل ٣/٤١

(٦) البحر المحيط٤/٤٢٠

(٧) عبد الله بن أحمد بن محمود النَّسفي، أبو البركا ت، حافظ الدين، فقيه، حنفي، م فسَّر، توفي سنة ٧١٠هـ، وينظر: الدرر الكامنة٢/٢٤٧، والأعلام ٤/٦٧.

(٨) مدارك التنزيل ٢/١٢٣

(٩) أخرجه الإمام أحمد في مسنده١/٢٧٢، وابن أبي عاصم في السنة١/٨٩، والطبري في جامع البيان١٠/٥٤٧، وفي

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:(**إن الله تعالى يقول لأهون أهل النَّار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال : نعم. قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي فأبيت إلا الشرك**)[1].

قال ابن حجر عن الحديث : فيه إشارة إلى قوله تعالى :﴿الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾[2].

وعن مسلم بن يسار الجهني[3] أن عمر بن الخطاب ﷺ سئل عن هذه الآية : فقال عمر : سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها، فقال رسول الله ﷺ:(**إن الله خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه، واستخرج منه ذريته**) الحديث[4].

قال الخفاجي: والحديث ناطق بأن هذا معنى الآية لأنه ساقه مساق التفسير لها[5].

وقال ابن عطية: وتواترت الأحاديث في تفسير هذه الآية عن النَّبي ﷺ [1].

وفي الأمم والملوك ١٣٤/١، والحاكم في مستدركه ٥٤٤/٢ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الأسماء والصفات٥٨/٢، وقال الهيثمي في مجمع الفوائد١٨٩/٧: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورجّح ابن كثير في تفسيره ٥٠١/٣ توقيفه على ابن عبَّاس بعدما ذكر بعض الروايات التي تؤيد ذلك فقال : فهذه الطرق كلها مما يقوي وقف هذا على ابن عبَّاس رضي الله عنهما، والله أعلم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، رقم (٣٣٣٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، رقم(٢٨٠٥)

(٢) مدارك التنزيل ١٢٣/٢

(٣) مسلم بن يسار الجهني البصري، تابعي روى عن عمر، ووثقه ابن حبان والعجلي، وينظر : سير أعلام النبلاء٥١٤/٤، وتهذيب التهذيب٤١٦/٥.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ،كتاب السنة، باب القدر، رقم (٤٧٠٣)، والترمذي في سننه ، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الأعراف رقم(٣٠٧٥)، وقال: حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً . وأخرجه الإمام مالك في الموطأ ٢٣٩/٢، والإمام أحمد في مسنده ٤٤/١، وابن أبي عاصم في السنة ٨٧/١، والطبري في تفسيره ٥٥٣/١٠، وابن أبي حاتم في تفسيره١٦١٢/٥،وصححه الحاكم في المستدرك ٣٢٤/٢، ٥٤٤ ووافقه الذهبي وقال في ٢٧/١، قلت: فيه إرسال، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٥٧/٢)، والحديث قال عنه ابن عبد البر في التمهيد ٣٧٧/١٤: هذا الحديث منقطع بهذا الإسناد، لأن مسلم بن يسار هذا لم يلق عمر بن الخطاب، وبينهما في هذا الحديث نعيم ابن ربيعة، وهو أ يضًا مع هذا الإسناد لا تقوم به حجة، ومسلم بن يسار هذا مجهول وقيل إنه مدني، وليس بمسلم ابن يسار البصري.

(٥) عناية القاضي٤٠٠/٤

عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: إن الله خلق آدم ثم أخرج ذريته من صلبه مثل الذر فقال لهم: من ربكم؟ قالوا: الله ربنا، ثم أعادهم في صلبه حتى يولد كل من أخذ ميثاقه لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم إلى أن تقوم الساعة(٢).

وعن أبي بن كعب ﷺ قال: جمعهم يومئذ جميعا ما هو كائن إلى يوم القيامة ثم استنطقهم وأخذ عليهم الميثاق : ﴿ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ ﴾ قال فإني أشهد عليكم السماوات السبع ، والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم، أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بهذا، اعلموا أنه لا إله غيري ولا رب غيري، ولا تشركوا بي شيئا، وسأرسل إليكم رسلاً يذكرونكم عهدي وميثاقي ، وسأنزل عليكم كتبي، قالوا شهدنا أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك ولا إله لنا غيرك ، فأقروا له يومئذ بالطاعة(٣).

وعن عطاء قال: أخرجهم من ظهر آدم حتى أخذ عليهم الميثاق ثم ردهم في صلبه(٤).

قال صديق خان(٥): والأحاديث في هذا الباب كثيرة بعضها مقيّد بتفسير هذه الآية وبعضها مطلق على ذكر إخراج ذرّيّة آدم من ظهره وأخذ العهد عليهم كما في حديث أنس مرفوعًا في الصّحيحين وغيرهما، وأمّا المروي عن الصّحابة في تفسير هذه الآية بإخراج ذرّيّة آدم من صلبه في عالم الذّرّ وأخذ العهد عليهم وإشهادهم على أنفسهم فهي كثيرة جدًّا، وقد روي عن جماعة ممّن بعد الصّحابة تفسير هذه الآية بإخراج ذرية آدم من ظهره، وفيما قاله رسول الله ﷺ في تفسيرها مِمّا قدّمنا ذكره ما يغني عن التّطويل(٦).

الراجح من الأقوال هو ما ذهب إليه الجمهور، لما يلي:

---

(١) المحرر الوجيز٢/٤٧٤، وينظر: فتح لبيان، للقنوجي٥/٧١

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان١٠/٥٥٥، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم٥/١٦١٤

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان١٠/٥٥٧، وابن أبي حاتم في تفسير القرآن العظيم٥/١٦١٥

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان١٠/٥٥٩

(٥) محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب صاحب المصنفات توفي سنة ١٣٠٧هـ. وينظر: أبجد العلوم:٩٣٩، وإيضاح المكنون١/١٠، والأعلام٦/١٦٧.

(٦) فتح البيان٥/٧٣

– موافقته لتفسير النَّبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم وجمهور أهل العلم، وهذا مقدم على غيره من أقوال.

– القول المختار يحمل تفسير الآية على الحقيقة دون المجاز وهذا الأصل في تفسير كلام الله تعالى، والله تعالى أعلم.

المسألة الثانية: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ ﴿ ﴾ لئلا تقولوا [1].

الدِّراسة:

قوله﴿ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ مفعول لأجله، وهي متعلقة إما بـــ (شهدنا) أوبـــ (أشهدهم)، وللعلماء في توجيهها ثلاثة أقوال:

الأول: شهدنا عليكم –على أن الشاهد هو الله تعالى أو الملائكة– كراهة أن تقولوا ، أو وأشهدهم على أنفسهم، ثم انتقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب لبيان علة الإشهاد فقال : كراهة أن تقولوا على قراءة الجمهور بالتاء، وأما على قراءة أبي عمرو بالياء (أن يقولوا) يكون الكلام كله في الغيبة، وهذا توجيه البصريين.

الثاني: شهدنا عليكم –على أن الشاهد هو الله تعالى أو الملائكة– لئلا أو لأن لا أو كي لا تقولوا، أو وأشهدهم على أنفسهم، ثم انتقل الكلام من الغيبة إلى الخطاب لبيان علة الإشهاد فقال: لئلا أو لأن لا أو كي لا تقولوا، على قراءة الجمهور بالتاء، وأما على قراءة أبي عمرو بالياء(أن يقولوا) يكون الكلام لكله في الغيبة، وهذا توجيه الكوفيين، على تق دي لام التعليل الجارة، وحذفُها مع (أنْ) جار على المطرد الشائع، والمقصود التعليل بنفي أن يقولوا: ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ لا بإيقاع القول، فحذف حرف النفي جرياًعلى شيوع حذفه مع القول [2].

---

(١) مجالس ثعلب١/١١٣

(٢) ينظر: الدر المصون ٥/٥١٣، والتحرير والتنوير ٩/١٦٩، السَّبعة:٢٢٥، وجامع البيان، للداني ٣/١١٢٤، والقراءات وعلل النحويين١/٢٣٥، والكشف عن وجوه القراءات١/٤٨٣-٤٨٤

الثالث: أنه تعليل بأنهم يقولون ذلك، والمعنى: شهد الله تعالى والملائكة أنهم ليقولوا إن كنا عنه غافلين[1].

النتيجة:

ما تقدم من توجيه للمعنى جائز ومحتمل، فالأول و الثاني بنفس المعنى والثالث جائز، لكن الأولى مما تقدم هو ما كان منها على الغالب من معهود أسلوب القرآن واستعماله وهو التوجيه الثاني، كما في قوله ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾﴾ النحل: ١٥ ، والمعنى: لئلا تميد بكم، والله تعالى أعلم.

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٦٩/٩

(١٢٩) قال تعالى :﴿ الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة ﴾ الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦

﴿ سبأ فاطر يس ﴾، مال إليها[١].

الدِّراسة:

الأقوال في معنى (أخلد):

١. مال إلى الأرض.

قاله البغوي[٢]، وابن كثير[٣].

٢. ركن إلى الأرض.

روي عن سعيد بن جبير، و السُّدِّي[٤]، وقاله الفراء[٥]، والزبيدي[١]، ومكِّي[٢]، والبغوي [٣]، وابن الجوزي[٤].

---

(١) مجالس ثعلب٢/٤٦٠

(٢) معالم التنزيل٣/٣٠٤

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير٣/٥٠٩

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٥٨٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦١٩

(٥) معاني القرآن١/٣٩٩

٣. سكن إلى الأرض.

روي عن مجاهد[٥]، وقاله الفراء[٦]، واليزيدي[٧]، والزَّجاج[٨] ، . . . . . ومكِّي[٩] ، وابن الجوزي[١٠].

٤. ترامى إلى الأرض ورغب فيها.

قاله أبو حيَّان[١١].

٥. لزم الأرض وتقاعس وأبطأ.

قاله أبو عبيدة[١٢]، وابن عطية[١٣].

وأصل الإخلاد في كلام العرب الإبطاء والإقامة[١٤]، وهذه الأقوال كلها في بيان المعنى على تعلقه بالأرض، ويراد بالأرض الدنيا وشهواتها[١٥].

النتيجة:

هذا الاختلاف في بيان معنى(أخلد) من اختلاف التنوع فلا تعارض فيه، فكله محتمل في معنى الكلمة والآية.

---

(١) غريب القرآن:١٥٣

(٢) مشكل غريب القرآن:٨٩

(٣) معالم التنزيل٣/٣٠٤

(٤) زاد المسير٣/٢٩٠، وينظر: مفردات الراغب، مادة(خ ل د)

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٥٨٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦١٩

(٦) معاني القرآن١/٣٩٩

(٧) غريب القرآن:١٥٣

(٨) معاني القرآن٢/٣٩١

(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية٤/٢٦٤٠

(١٠) زاد المسير٣/٢٩٠

(١١) البحر المحيط٤/٤٢٣

(١٢) مجاز القرآن١/٢٣٣

(١٣) المحرر الوجيز٢/٤٧٨

(١٤) ينظر: تهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة(خ ل د)، وجامع البيان، للطبري١٠/٥٨٣

(١٥) ينظر: النكت والعيون٢/٢٨٠، وزاد المسير٣/٢٩٠

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ولو شئنا لرفعنا هذا الذي آتيناه آياتنا بآياتنا التي آتيناه ، ﴿ الْأَخْسَرِينَ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ ﴾يقول: سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض ومال إليها وآثر لذَّتها وشهواتها على الآخرة ﴿ الصَّافَّاتِ صٓ ﴾ورفض طاعة الله وخالف أمره[1].

(١٣٠) قال تعالى : ﴿ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ التَّكَاثُرِ الْعَصْرِ الْهُمَزَةِ الْفِيلِ قُرَيْشٍ الْمَاعُونِ الْكَوْثَرِ الْكَافِرُونَ ﴾ الأعراف: ١٨٧

﴿ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانْشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى ﴾

قال: كبر علمها على أهل السموات والأرض. قال: وكل شيء لم يعلم فهو ثقيل[2].

الدِّراسة:

في المسألة قولان:

الأول: ثقل خفاء علم وقت مجيء الساعة على من في السموات والأرض.

ودليل هذا القول أن كل ما خفي علمه كان ثقيل، والسياق في أوله يتحدث عن علم وقت قيام الساعة.

روي عن السُّدِّي، وقتادة[3]، وقاله الفراء[1]، وأبو عبيدة[2]، وابن جرير [3]، والنَّحاس [4]، ومكِّي[5]، والبغوي[6]، والقرطبي[7]، وابن كثير[8].

---

(١) جامع البيان١٠/٥٧٦

(٢) مجالس ثعلب١/٢٦٥

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٦٠٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٢٧

الثاني: ثقل ما في الساعة من أهوال وآيات عظيمة وشديدة على من في السموات والأرض.

ويؤيد هذا القول وصفه تعالى ليوم القيامة باليوم الثقيل :﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ الإنسان: ٢٧.

روي عن الحسن، وابن جريج[٩]، وجوز الزَّمَخْشَرِي القولين[١٠].

النتيجة:

الضمير في الفعل (ثقلت) عائد على الساعة ويراد به خفاء وقت مجيئها أنه ثقيل فكل ما خفي على النفوس كان ثقيل أو أن الساعة وما فيها من أهوال ثقيلة على أهل السموات والأرض.

وكلا المعنيين صحيح لكن الأولى في المراد هنا في هذه الآية هو خفاء علم وقتها وهو ما يناسب السياق السابق واللاحق فكله يتحدث عن وقت الساعة، والقول الذي تؤيده قرائن السياق مقدم على غيره.

قال ابن جرير: وأولى ذلك عندي بالصواب قول من قال معنى ذلك ثقلت الساعة في السماوات والأرض على أه لها أن يعرفوا وقتها وقيامها ، لأن الله أخفى ذلك عن خلقه فلم يطُلع عليه أحداً منهم.

---

(١) معاني القرآن١/٣٩٩

(٢) مجاز القرآن١/٢٣٥

(٣) جامع البيان١٠/٦٠٩

(٤) معاني القرآن٣/١١١

(٥) الهداية إلى بلوغ النهاية٤/٢٦٦١

(٦) معالم التنزيل٣/٣١٠

(٧) الجامع لأحكام القرآن٩/٤٠٥

(٨) تفسير القرآن العظيم٣/٥١٩

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٦٠٩، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٢٧

(١٠) الكشاف٢/١٧٧

وذلك أن الله أخبر بذلك بعد قوله : ﴿ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانْفِطَارِ ﴾الْمُطَفِّفِينَ ، وأخبر بعده أنها لا تأتي إلا بغتة ، فالذي هو أولى أن يكون ما بين ذلك أيضاً خبراً عن خفاء علمها عن الخلق إذ كان ما قبله وما بعده كذلك[1].

(١٣١) قوله تعالى: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴾ الأعراف: ١٩٩

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾، ما صفا[2].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: الفضل والميسور وما صفا من أخلاق النَّاس و لم يجهدهم ويشق عليهم.

روي عن مجاهد، وعبدالله[3] وعروة ابني الزبير [4]، قاله أبو عبيدة [5]، والبغوي [6]، والزمخشري[1]، والقرطبي[2]، وأبو حيَّان[3].

---

(١) جامع البيان١٠/٦٠٩

(٢) مجالس ثعلب ٢/٥٨٢

(٣) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي، أول مولود في الإسلام بعد الهجرة، صحابي جليل، قتله الحجاج الثقفي سنة٧٣هـ، وينظر: أسد الغابة٣/٢٤٤، والإصابة٤/٧٨.

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٦٣٩-٦٤٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٣٧

(٥) مجاز القرآن١/٢٣٦

(٦) معالم التنزيل٣/٣١٦

الثاني: الميسور من المال قبل فرض الزكاة، أو الزكاة المفروضة نفسها.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، و السُّدِّي، والضَّحاك[٤].

الثالث: العفو عن المشركين وترك الغلظة عليهم.

روي عن ابن زيد[٥].

الرابع: الفضل في الأخلاق والمال.

قاله اليزيدي[٦]، والزَّجاج[٧]، والنَّحاس[٨].

الخامس: الفضل في أخلاق النَّاس وعدم جهدهم وترك الغلظة للمشركين حتى تقوى شوكت المسلمين.

قاله ابن جرير[٩].

النتيجة:

القول بأنه في الأموال ضعيف، لأن الآيات تتحدث عن المشركين قبل الهجرة فالأولى حملها على معنى التعامل مع النَّاس بالفضل في الأخلاق ومدارة المشركين وترك الغلظة معهم حتى تقوى شوكت المسلمين، وهذا ما رجحه ابن جرير الطبري -رحمه الله-.

(١) الكشاف٢/١٨٣

(٢) الجامع لأحكام القرآن٩/٤٢١

(٣) البحر المحيط٤/٤٤٨

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٦٤١، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٣٨

(٥) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٦٤٢، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٣٨

(٦) غريب القرآن:١٥٥

(٧) معاني القرآن٢/٣٩٦

(٨) معاني القرآن٣/١١٨

(٩) جامع البيان١٠/٦٤٢

(١٣٢) قوله تعالى : ﴿الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف﴾ الأعراف: ٢٠٣

وقال في قوله عز وجل: ﴿المؤمنون النور الفرقان﴾، أي: جئت بها من نفسك[١].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

الأول: لولا جئت وأتيت بها من نفسك، على وجه التحدي.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وقتادة، ومجاهد، وابن زيد، و السُّدِّي [٢]، وقاله والفراء[١]، وابن جرير[٢]، والزَّجاج[٣]، والنَّحاس[٤]، والبغوي [٥]، وابن عطية [٦]، وابن الجوزي[٧]، وأبو حيَّان[٨].

(١) مجالس ثعلب٢/٣٧٧، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم ٧/٥١٢، ولسان العرب١٤/١٣٠

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٦٥٤-٦٥٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٤٣-١٦٤٤

الثاني: هلا أخذتها وتلقيتها وطلبتها من ربك، على وجه السُّخرية.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وقتادة، والضَّحاك[٩]، وقاله ابن كثير[١٠].

الثالث: هلا اجتمعتها من عند نفسك.

قاله الزمخشري[١١].

النتيجة:

الأقوال في المسألة صحيحة في اللغة وكلام العرب[١٢]، ولكن الراجح هو القول الأول للآتي:

١. إجابته تعالى على سؤال المشركين في قوله :﴿الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ﴾دليل على طلبهم منه الإتيان بالآيات من عند نفسه، وهذا الأقرب لسياق الآية.

٢. هو الموافق لعادة المشركين وتعنتهم في طلب الآيات.

٣. موافقته لقول جمهور المفسِّرين.

---

(١) معاني القرآن١/٤٠٢

(٢) جامع البيان١٠/٦٥٦

(٣) معاني القرآن٢/٣٩٦

(٤) معاني القرآن٣/١٢١

(٥) معالم التنزيل٣/٣١٨

(٦) المحرر الوجيز٢/٤٩٣

(٧) زاد المسير٣/٣١٢

(٨) البحر المحيط٤/٤٥١

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٦٥٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٤٤

(١٠) تفسير القرآن العظيم٣/٥٣٥

(١١) الكشاف٢/١٨٥

(١٢) ينظر: الصحاح، وتهذيب اللغة، ولسان العرب، مادة (ج ب،ج ب ا، ج ب ى، ج ب ي)، ومعاني القرآن،للفراء١/٤٠٢، ومعاني القرآن، للنحاس٣/١٢١، والبحر المحيط٤/٤٥١

(١٣٣) قوله تعالى: ﴿الدُّخَانُ الْجَاثِيَةُ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ﴾ الأعراف: ٢٠٤

وفي التنزيل العزيز: ﴿الدُّخَانُ الْجَاثِيَةُ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ﴾، قال ثعلب: معناه إذا قرأ الإمام فاستمعوا إلى قراءته ولا تتكلموا[1].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

١. قراءة الإمام في الصلاة الجهرية.

روي عن جمهور المفسِّرين[2].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم ٢٩٦/٨، ولسان العرب٩٨/٢

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري٦٥٨/١٠-٦٦٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم١٦٤٥/٥-١٦٤٦، ومعالم التنزيل٣٢٠/٣، والمحرر الوجيز٤٩٤/٢

ودليلهم حديث:(**إذا قرأ الإمام فأنصتوا**)[1] ، وسبب النزول عن ابن مسعود وأبي هريرة وابن عبَّاس ﷺ [2]، والقراءة في خطبة الجمعة قليلة، والآية مكِّيّة قبل خطبة الجمعة.

قال أبو هريرةﷺ نزلت في رفع الأصوات، وهم خلف رسول اللهﷺ في الصلاة[3].

٢. الإنصات للإمام في خطبة الجمعة.

روي عن مجاهد[4].

ودليله أحاديث الأمر بالإنصات عند خطبة ا لجمعة، عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:(**إذا قلت لصاحبك أنصت والإمام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت**)[5].

٣. قراءة الإمام في الصلاة الجهرية وخطبة الجمعة.

روي عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، ومجاهد، وعطاء، [6]، وقاله ابن جرير[7].

٤. قراءة الإمام في الصلاة الجهرية وخطبة الجمعة والفطر والأضحى.

روي عن سعيد بن جبير[8].

٥. الإنصات والاستماع للقرآن في أي موضع.

روي عن الحسن[9]، وقاله القرطبي[10] ، وابن كثير[11] ، وأبو حيَّان[12].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، رقم(٤٠٤) من حديث أبي موسى الأشعريﷺ.

(٢) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٦٥٨-٦٦٤، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٤٥-١٦٤٦

(٣) ينظر: جامع البيان، للطبري ١٠/٦٦٠، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم ٥/١٦٤٥، وله شواهد وطرق، والأثر فيه عبد الله بن عامر ضعفه الدارقطني السنن (٣٢٦/١) جزء القراءة خلف الإمام :١١٥، لكن الحديث يتقوى بكثرة شواهده وطرقه.

(٤) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٦٦٤-٦٦٥، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٤٦

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الإنصات والإمام يخطب، رقم (٨٩٢)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، رقم(٨٥١) .

(٦) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٦٦٥-٦٦٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٤٦

(٧) جامع البيان١٠/٦٦٧

(٨) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٦٦٦

(٩) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٦٦٥-٦٦٦، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٤٦

(١٠) الجامع لأحكام القرآن٩/٤٣١

(١١) تفسير القرآن العظيم٣/٥٣٦

(١٢) البحر المحيط٤/٤٥٢

٦. اعملوا بما فيه ولا تتجاوزوه.

قاله الزَّجاج[١].

النتيجة:

اللفظ عام في الإنصات عند سماع القرآن، وه ذا ما يرجح القول بالإنصات عند قراءة الإمام وفي أي موضع احتراماً وتعظيماً لكلام الله وكتابه، وإن كان سبب نزول الآية خاص في الصلاة فهو يدخل دخولاً أولياً، لكن العبرة في التفسير بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالخطاب للمؤمنين والكافرين على الإنصات عند سماع القرآن في الصلاة أو عند الموعظة والذكر أو في أي موضع، والله تعالى أعلم.

(١٣٤) قوله تعالى ﴿النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ﴾ الأعراف: ٢٠٥

وقال ثعلب: هو أن تذكره في نفسك[٢].

الدِّراسة:

الأقوال في المسألة:

١ -تذكر ربك في نفسك.

روي عن مجاهد، وعبيد بن عمير[٣] [١] ، وقاله ابن جرير[٢] ، ومكِّي[٣] ، والزمخشري[٤] ، وأبو وأبو حيَّان[٥] ، وابن كثير[٦].

---

(١) معاني القرآن٢/٣٩٨

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ٢٦٦/٥، ولسان العرب٢٣٥/١٤

(٣) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي الجندعي المكِّي، الواعظ والمفسِّر التابعي، توفي سنة ٧٤هـ، وينظر: طبقات ابن سعد ٤٦٣/٥، وسير أعلام النبلاء١٥٦/٤.

٢ -تذكر ربك بلسانك بدون رفع صوت، وقوله :﴿ الْجَهْرِ الْمُتَحَنَّةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ ﴾ عطف بيان.

روي عن ابن زيد، وابن جريج[٧] ، وقاله ابن عطية[٨].

وقال ابن عطية: والجمهور على أن الذكر لا يكون في النفس ولا يراعى إلا بحركة اللسان، ويدل على ذلك من هذه الآية قوله: ﴿ الْجَهْرِ الْمُتَحَنَّةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ ﴾[٩] .

واعترض على هذا القول بأن العطف للمغايرة، والذكر في النفس ممكن وهو أدعى في الإخلاص والتأمل والتفكر[١٠].

النتيجة:

الراجح القول الأول للآتي:

١. إمكانية الذكر في النفس.

٢. الأصل حمل النص على ظاهره إلا بدليل.

٣. الأصل في العطف للمغايرة.

٤. قول جمهور المفسِّرين.

---

(١) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٦٦٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٤٧

(٢) جامع البيان١٠/٦٦٧

(٣) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية٣/٢٧٠٣

(٤) الكشاف٢/١٨٥

(٥) البحر المحيط٤/٤٥٣

(٦) تفسير القرآن العظيم٣/٥٣٨

(٧) ينظر: جامع البيان، للطبري١٠/٦٦٨، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم٥/١٦٤٧

(٨) المحرر الوجيز٢/٤٩٤

(٩) المحرر الوجيز٢/٤٩٤

(١٠) ينظر: الكشاف٢/١٨٦، والبحر المحيط٤/٤٥٣